بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطاهرين

[مولده]

ولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم عام الفيل في فجر الاثنين لأثني عشرة ليلة مضت من ربيع الأول قبل الهجرة بـ53عام وذلك سنة 571م ، وقد كان أبوه عبد الله بن عبد المطلب بن مناف مات وهو في بطن أمه وأمه هي آمنة بنت وهب الزهرية ، وقد روى محدث الزيدية وأئمتهم أن آباء النبي صلى الله عليه وآله وسلم عبد الله، وعبد المطلب، وهاشم، وعمه أبا طالب كانوا لا يعبدون الأصنام ، ولا يستقسمون بالأزلام .

[نشأته]

نشأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتربى تحت رعاية جده عبد المطلب ، فلما مات عبد المطلب كفله عمه أبو طالب بوصية من جده عبد المطلب، فحضي في تلك الكفالتين بالرعاية التامة والغاية من العناية والتربية والمحافظة ، وقد كان آبائه صلى الله عليه وآله وسلم على علم بما له صلى الله عليه وآله وسلم من الشأن والكرامة عند الله تعالى بأخبار بلغتهم عن أهل الكتب السماوية ، ثم بما ظهر من الآيات و الكرامات منذ مولده إلى أن بلغ أشده، وتفصيل ذلك يطول وقد تضمنته كتب السير.

وقد اختار الله تعالى واصطفى بعلمه وحكمته نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم لتبليغ رسالة من أفضل القبائل وأشرف البيوتات وأفضل البقاع ، فكان صلى الله عليه وآله وسلم قبل أن يبعثه الله نبياً أوسط الناس نسباً ، وأشرفهم أماً وأباً ،وأزكاهم عقلاً، وأكرمهم أخلاقاً ،وأحسنهم سيرة ، وأوفاهم ، وأصدقهم، وأحلمهم ، وأعظمهم أمانة، وأكملهم على الإطلاق في صفات الكمال والخلقية

والخُلُقيِّة، فقد بلغ ﷺ الغاية و النهاية في كل ذلك، وقد كان قومه يعرفون له ذلك، وكانوا يسمونه الصادق الأمين .

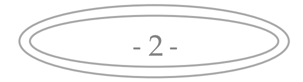
[العصمة والتعبد]

كان النبي ﷺ في الأربعين السنة من عمره وهي فترة ما قبل الوحي مؤيدا بعناية الله ورعايته ، يحيط به التوفيق والألطاف والتسديد حيثما كان ، فلم يصدر منه طول تلك ألفترة ما يعاب به من فعل مأثم لا كبير ولا صغير ، ولم يتلطخ بعائبة ولم تلحقه نقيصة ، فكان ﷺ في تلك ألفترة في الغاية من الطاهرة والنقاء والصفا والزكا والكرامة في ظاهر أمره وباطنه.

وكان ﷺ في تلك ألفترة ينفر عن الأصنام وعبادتها والذبح لها وما يلحق

بذلك من الشرك وأعمال المشركين ،وكان ﷺ بدلاً من ذلك يهجر المشركين وينعزل بنفسه في غار حراء، وهذا الغار في رأس جبل طويل بعيد عن مكة ، فكان ﷺ يتعبد لله تعالى في هذا الغار شهراً في كل سنة، وقد كان آبائه ﷺ من قبل يتعبدون في هذا الغار، فكأنه ﷺ أخذ هذه العادة الحسنة من آبائه، وكان ﷺ يطوف بالبيت العتيق ،ويحج ويخالف قومه فيقف بعرفات ، وكانت قريش لا تقف بعرفات ، وتلخيص هذا البحث ما ذكره أئمتنا وهو أمر إن :

1- أن النبي ﷺ كان معصوماً قبل البعثة من الكبائر ومن الصغائر الذميمة .
2- أنه ﷺ كان قبل البعثة يتعبد الله تعالى بالتوحيد والذكر والتفكر وبما كان بقي من دين إبراهيم وإسماعيل عليه السلام مثل الحج والطواف و...الخ.



هذا وما كان الله تعالى ليختار ويصطفي لرسالته إلا الأزكى والأطهر والأكمل والأفضل والأقوى من بريته ، وقد قال سبحانه وتعالى((الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس))((الله أعلم حيث يجعل رسالاته) وقال تعالى عن صفيه (ص) :((وإنك لعلى خلق عظيم)) .

وحين كان ﷺ قبل البعثة أفضل البشر وأكملهم وأزكاهم وأطهرهم وأشرفهم

وأتقاهم وأرفعهم اصطفاه الله تعالى واختاره لتبليغ رسالته وأكرمه بنبوته لعلمه تعالى بقوته على حملها وصبره على تبليغها وأنه لا يجور ولا يضعف ولا يزول ولا يتزلزل ولعلمه تعالى بعظيم أمانة رسوله ﷺ وصدقه ووفائه ولعلمه بعظيم رحمته وشفقته بالناس وكثير نصيحته لهما، مع ما جبله الله تعالى عليه من التواضع وكرم الأخلاق وطلاقة الوجه والبشاشة (ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك)

روي في بعض كتب السير وبعض كتب الحديث أن الملائكة شقوا بطن النبي ﷺ يوم كان ﷺ مسترضعاً عند حليمة وغسلوا قلبه واستخرجوا منه ما ثم من الخبث ، وروي أنهم شقوا بكنه مرة ثانية في مكة وغسلوا قلبه من ماء زمزم .

وهذه الروايات و إن كانت في صحاح أهل السنة إلا أني استبعد صحتها لأمور:

1- لأن الله على كل شيء قدير فهو تعالى بقدرته الذي خلق النبي ﷺ وهو في بطن أمه وجعل له القلب والسمع والبصر من غير عملية جراحية فهو إذا قادر على تطهير قلبه ﷺ بغير عملية جراحية.
2- أن الغسل والتطهير والاستئصال إنما يكون للأشياء المادية

المحسوسة أما الطبائع البشرية الحسن منها أو الخبيث فأنها صفات وأعراض غير مادية لا تستأصل بالعمليات الجراحية ولا تغسل بالماء.

3- لو كان الأمر كما روي من أنها غسلت فيه ﷺ الطبائع الخسية لارتفع عنه ﷺ التكليف ولما استحق المدح والثناء ، لأن المكلف إنما يستحق المدح والثناء والثواب على قمعه لهوا نفسه وكبحه لشهواتها وجهاده لدواعيها و تسويلاتها وإيثاره بدلا عن ذلك بطاعة ربه وحينئذ تتحقق عبوديته لربه التي عندها يستحق التكليم حيث آثر طاعة ربه على شهوات نفسه و أهويتها أما الذي غسلت منه طبائع الهوى والشهوات لم يبق له إلا الطبائع الحسنة فلا يلحقه عناء ولا أي تعب ولا كلفة فبماذا يستحق المدح والثواب .

4- أن القرآن قد دل على بقاء الغرائز البشرية المتنافية في صدر النبي ﷺ فمن ذلك ما روي أن النبي ﷺ حين رأى ما لحق بعمه حمزة وبأصحابه في يوم أحد من القتل و المثلة ثارت عنده طبيعة الانتقام فحلف لان أظفره الله بقريش ليمثلن بثلاثين منهم فأنزل الله تعالى عليه قوله (فإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم له خير للصابرين ، واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون) ، فعفى رسول الله و صبر و نهى عن المثلة.

إذا عرفت ذلك فأنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم بما فيهم نبيئنا محمد ﷺ هم في طبائعهم وغرائزهم كسائر المكلفين، إلا أنهم صلوات الله عليهم أقوى على قمع شهواتهم ودواعي نفوسهم وأهوائهم، لما عندهم من معرفة الله تعالى المستحكمة التي ملأت نفوسهم خشية لله وتعظيماً له و حياءاً منه، لذلك فلا يلتفتون إلى دواعي نفوسهم و شهواتها حياء من الله وإجلالاً وإكباراً، وللوفاء بما عاهدوا الله عليه من السمع والطاعة ، وقد جاء في الحديث

المشهور (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن...الحديث)

والمعنى أن المؤمن يمنعه إيمانه من الوقوع في جريمة الزنا والخمر والسرقة والقتل ونحو ذلك، ويقيده إيمانه بالله وخشيته من الانقياد لشهوته ودواعي هوى نفسه، وأن الزاني لا يصدر منه فعل الزنا إلا إذا غاب إيمانه ، وبناء على ذلك فأنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم أكمل الناس إيماناً، وأعرفهم بالله، لذلك فلا تصدر منهم معصية لله لأن معهم من الإيمان ما يقيدهم ويمنعهم عنها.

[معاصي الأنبياء عليهم السلام]

وما وقع من بعضهم عليهم السلام كأبينا آدم ويونس عليهم السلام، فأبونا آدم عليه السلام نهاه الله تعالى عن الأكل من الشجرة، وحذره من الشيطان ، إلا أن آدم عليه السلام لم يكن له تجربة بمكائد الشيطان ومكره، فوسوس له الشيطان قائلا له : أن السبب الذي من أجله منعك الله تعالى، ونهاك أنت وحواء عن الأكل من الشجرة هو أنه تعالى كره لكما أن تكونا من جملة الملائكة وتنظما في صف الملائكة وفي منازلها القريبة من الله، وكره أن تكونا من الخالدين الذين لا يموتون ، فلو أنك وحواء أكلتما من هذه الشجرة لأصبحتما من جملة الملائكة وكنتما في منازل جبريل وميكائيل والملائكة المقربين، ولصرتما من الخالدين الذين لا يموتون ، وتماما كما حكى الله القصة في قوله تعالى: (وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين فدلا هما بغرور.. الآية) فلما وسوس الشيطان لآدم وحواء بهذه المقالة، وعقبها بالقسم بالله إنه ناصح لهما اغتر آدم وحواء، وما خطر ببالهما أن أحداً يحلف بالله كاذبا ، فلذلك اغتر آدم وحواء وطمعا في منزلة الملائكة التي سيكونان فيها أقرب إلى الله وأعظم عند الله ، لذلك أقدم آدم وحواء

على الأَكل من الشجرة ظناً منهما أن الأَكل منها وسيلة وطريق تقربهم إلى ثواب الله وعظيم كرامته ، هكذا فصلت لنا نصوص القرآن السبب الذي من أجله وقع آدم في المعصية.

فلا يجوز ولا ينبغي أن يقال إن آدم أقدم على فعل المعصية تمرداً على الله وتهاوناً بنهيه وعدم مبالاة بمعصيته ، إلا ترى أن آدم وحواء عليهما السلام لما تبين لهما أنهما اغترا بوساوس الشيطان وحلفه، وأنهما قد عصيا الله تعالى بادرا إلى الاعتذار والتوبة إلى الله والاعتراف ،وقد حكى الله تعالى حال آدم وحواء عليهما السلام بعد الأَكل من الشجرة فقال تعالى: (فناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين).

وكانت معصية نبي الله يونس صلوات الله عليه أنه خرج من بين قومه وذهب مغاضباً لهم من غير أن يأذن الله له بذلك، فظن أن الله تعالى لن يؤاخذه بذلك ولن يضيق عليه ، وتماما كما حكى الله تعالى قصة معصيته عليه السلام في قوله : (وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن ألن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين)

ومعنى فظن ألن نقدر عليه: لن نضيق عليه فيما فعل ولن نؤاخذه بذلك ، وهكذا سائر ما يجري من الأنبياء صلوات الله عليهم فأنها لم تصدر منهم إلا على طريق الخطأ أو الظن أنهم فيما فعلوا غير عاصين لله تعالى، ولا ينكشف لهم أنهم أخطئوا وعصوا إلا بعد ألفعل فيندموا ويتوبوا ويعتذروا إلى ربهم هذا واعلم أنه لا ينبغي الالتفات إلى ما يروى من قصص الأنبياء التي في بعض كتب التفسير فأنها قصص غير صحيحة.

اشتغل النبي صلى الله عليه وآله وسلم برعي الغنم كعادة الصبيان في فترة إقامته عند مرضعته حليمة السعدية، وخرج في صباه مع عمه ابي طالب إلى الشام ورآه في هذه السفرة بحيراء الراهب وقال لأبي طالب : احذر عليه اليهود وأخبره أنه النبي المبعوث في آخر الزمان ،وكان صلى الله عليه وآله وسلم لا يحضر مجالس الخناء والفحش ولا نوادي اللهو واللعب ولا مجالس السمر، وكان يكره عبادة الأصنام وأعمال المشركين واشتغل في شبابه بالتجارة أجيراً لخديجة، وحضر في صغره مع أعمامه حرب الفجار قبل أن يبلغ مبالغ الرجال .

وكان يعرف في شبابه بالأمانة والصدق وكمال الأخلاق حتى حكمته قريش عند اختلافها فيمن يضع الحجر الأسود في مكانه عند بناء الكعبة فحكم في ذلك بحكم أرضى الجميع ، قال : ضعوا الحجر الأسود في ثوب ثم لتحمل كل قبيلة منكم بجانب من الثوب فرضوا بذلك وحملوا الحجر الأسود كذلك ثم وضع صلى الله عليه وآله وسلم الحجر في مكانه .

وكان صلى الله عليه وآله وسلم في صباه في كفالة عمه أبي طالب ورعايته يقوم بنفقته وبمصالحه

وبما يحاج إليه إلى أن بلغ مبالغ الرجال واستغني بنفسه ، فأراد صلى الله عليه وآله وسلم أن

يكافئ عمه أبا طالب ، وكان أبو طالب فقيراً فأخذ النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً وهو صغير فعاش علي عليه السلام منذ طفولته مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحت رعايته إلى أن بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان علي عليه السلام يخبر عن عناية الرسول صلى الله عليه وآله وسلم به فيقول : إن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يمضغ اللقمة ثم يلقمنيها ، وإنه كان ينام بجانبه صلى الله عليه وآله وسلم فيمسه جسده ويشم عرقه .

- وكان علي عليه السلام يوم البعثة في بيت خديجة تحت رعاية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكفالته

ورتربيته فلما بعث النبي ﷺ آمن علي عليه السلام ودخل في الدين الجديد وأسلمت خديجة ، وكان أهل هذا البيت أول المسلمين على الإطلاق

وكان علي عليه السلام شديد التعلق بالنبي ﷺ وشديد الحب له فكان عليه السلام لا يذكر النبي ﷺ إلا اغرورقت عيناه، ولم يهدئ حزنه عليه السلام على فراق النبي ﷺ حتى مات

- وكان النبي ﷺ يطوف بالبيت قبل البعثة ، وكان يحج ويقف بعرفة مع الناس وكانت قريش تقف بالمزدلفة ، فكان القائل يقول حين يرى النبي ﷺ واقفاً بعرفة : هذا رجل أحمس فماله لا يقف مع الحمس ؟

وكانت قريش تسمى الحمس لشدة تحمسها في دينها ومن شدة تحمسها أن تقف بمزدلفة ولا تقف بعرفات بحجة أنهم أهل الحرم فلا يخرجون منه

-وتزوج ﷺ بخديجة قبل البعثة فولدت له بنين وبنات فمات البنون وعاش البنات وكن ثلاثاً ثالثتهم فاطمة، وحين بعثه الله تعالى نبياً أمره بالدعوة إلى توحيد الله وترك الأصنام (لآإله إلا الله محمد رسول الله ﷺ) وأمره بالجد في ذلك والصبر على ما يلاقي في سبيل ذلك وأمر تعالى الذين آمنوا بالصبر وتحمل الأذى ، ونهاهم عز وجل عن القتل والقتال إلا بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة ، وذلك بعد الهجرة إلى المدينة.

وذلك لعلمه تعالى بأن القتال لو وقع في تلك الفترة لأدى إلى ضياع الأسلام والمسلمين لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم .

-وبعد الهجرة حين كثر المسلمون وصار لهم كيان كبير وأتباع إذن الله سبحانه وتعالى في

قتال المشركين الذين يقاتلونهم وحدهم الذين بدؤوا النبي ﷺ والمسلمين بالقتل والقتال والعداوة دون غيرهم.

-وكان حول المدينة الكثير من قبائل اليهود فصالحهم النبي ﷺ وعاهدهم على المسالمة والأمن وكف الضرر وترك العدوان ، فوفى النبي ﷺ لهم بما عاهدهم عليه هو والمسلمون ، واستمرت اليهود على الوفاء فترة ، ثم غدروا به ونقضوا العهد فبعضهم تحالف مع قريش على حرب النبي ﷺ والمسلمين واستئصالهم تماماً ،فحاربهم النبي ﷺ وانتصر عليهم

-ثم تحالف قبائل كثيرة مع قريش لحرب النبي ﷺ ، فاضطر النبي ﷺ

والمسلمون إلى حربهم ، وهكذا دعت الضرورة إلى إعلان الحرب على كل من وقف بسيفه في وجه الدعوة إلى دين الإسلام،

أما المشركون الذين كفوا أيديهم عن العدوان والتزموا بمعاهدتهم مع المسلمين فقد قال تعالى للمسلمين بشأنهم : ((فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم))

وعلى الجملة فحروب النبي ﷺ مع المشركين واليهود كانت على جهة الدفاع أو الرد بالمثل .

هكذا كانت سيرة النبي ﷺ في جميع حروبه مع المشركين واليهود.

ثم أن الله سبحانه وتعالى أمر بعد ذلك بقتال المشركين كافة ((وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة))، وهكذا أمر بقتال أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ، وما ذلك إلا لما علم الله تعالى من خبث نيات المشركين واليهود في الفتك بالمسلمين إن حانت لهم فرصة وقد قال تعالى في المشركين : ((لا يرقبون في مسلم إلا ولا ذمة وأولئك

هم المعتدون)) وقال فيهم : ((إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءاً ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون)) وقال فيهم ((قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر)) إلى غير ذلك من الآيات

وقال سبحانه في المشركين واليهود : ((لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ....))

فلذلك أمر بقتال الفريقين على الإطلاق ، وكان هذا الأمر من الله تعالى للمسلمين حين أصبح للمسلمين دولة عظيمة بقيادة نبيهم ﷺ وصار لهم كيان كبير وسيطرة واسعة ، فكان لا بد لأعداء الإسلام في جزيرة العرب من أهل الكتاب والمشركين أن يقبلوا بالوضع العام فيدخلوا في الإسلام أو يصبروا على ما هم عليه من العداوة للإسلام ونبي المسلمين، فكان لا بد لدولة الإسلام من قتال عدوهم المصر على عداوته حتى يحصل واحد من ثلاثة:

1- إما أن يدخلوا في الإسلام .
2- وإما أن يستسلموا للدولة الإسلامية ويقبلوا بقوانينها العادلة فيعطوا لها ما عليهم ويأخذوا منها ما هو عليها ، وتماماً كما هو الحال عليه اليوم في بعض دول العالم ، فإن الأقليات الدينية والأحزاب المعارضة وذوي النوازع العنصرية أو العرفية تقبل بالوضع العام والسياسة القائمة وتذعن لقوانينها ، فنعطي ما عليها ونأخذ ما هو لها في القانون العام .
3- وإما الصبر على القتل والقتال حين يحكم الله بين الفريقين وهذه السياسة هي سياسة حكيمة جارية على ما هو المعروف من سنن البشر التي تعرفها العقول وتجيدها .

وكانت الدولة الإسلامية تأخذ من رعاياها شيئاً من المال فالمسلمون يؤدون الزكاة فيعطي التاجر في السنة 2،5%

وأصحاب الزراعة يعطون 10%من محصول زراعتهم إذا سقيت بغير تعب نحو أن تسقى بماء المطر أو الأنهار و5% إذا كانت تسقى بالآلات، وأهل المواشي التي ترعى الكلاء يعطون منها على حسب كثرتها وقلتها وإذا كانت تعلف فلا زكاة عليها.

ويعطي كل واحد من المسلمين صاعاً في السنة من طعام على الغني والفقير والصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد .

-وأهل الكتاب يؤخذ من كل واحد من فقرائهم اثني عشر درهماً في السنة

ومن أوساطهم أربعة وعشرين ومن أغنيائهم ثمانية وأربعين درهماً، والإثنا عشر درهماً هي أقل من ريال فرانصي

وقد تصالح الدولة الإسلامية مع أهل الكتاب أو المشركين بأقل من ذلك أو بأكثر على حسب المصلحة وحسب الإتفاق .

نعم هذا المال الذي تأخذه الدولة ليس ظلماً لأسباب :

1- أنها تأخذ المال من جميع رعاياها من المسلمين وغيرهم .
2- أنها تأخذ المال في مقابل خدمات تقدمها الدولة كحماية رعاياها وتأمين طرفهم وتأمين تجاراتهم و...الخ
3- أن قيام الدولة لايتم إلا بالمال فالمال ضروري للدولة ، ولا مصدر له سوى ما تجبيه من رعاياها.

وقد ألزم الله تعالى ولاة الإسلام قبل الدخول في القتال أن يدعوا من يريدون قتاله إلى الإسلام أو الإستسلام أو القتال ، وكره الله لهم ورسوله ﷺ أن يقاتلوا أحداً قبل الدعوة إلى ذلك والتكرير لها والترغيب في الإسلام

- وكان رسول الله ﷺ يكره القتل وسفك الدماء ويميل بطبعه إلى العافية والسلامة ، وكان لا يقرر القتل أو القتال إلا عند الضرورة وكل ذلك لما جبله الله تعالى عليه من الرحمة العامة والشفقة، فأطلق ﷺ اسراء المشركين في بدر وكانوا ألد الأعداء وأشدهم قساوة وعداوة على النبي ﷺ ، ورد سبايا يوم حنين ، وعفا عن أهل مكة يوم فتحها مع أنهم الغاية في العداوة ولم يلق النبي ﷺ من أحد مثل ما لقي منهم ،

وعلى الجملة فقد كانت شخصيته ﷺ العفو والصفح وكانت صفته المذكورة في الكتب السابقة أنه لا يجزي على السيئة أو يكافئ على السيئة بالسيئة

- وكان من شيمته ﷺ في سيرته طول حياته المباركة الإغضاء عن عيوب أصحابه ومساويهم ، ويقبل أعذار المذنبين إذا اعتذروا من غير مناقشة ولا مساءلة حتى اتهمه المنافقون بالغبى وقلة التمييز كما حكاه الله تعالى في قوله : ((ويقولون هو أذن ...))أي أنه يسمع ويقبل كل ما يقال له ويستجيب لذلك من غير تمييز ، ولم يعرف المنافقون أن ذلك إنما صدر منه عن كرم أخلاقة وعظيم شيمته ، وعن أدب عظيم
تلقاه من ربه كما في قوله تعالى : ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ...))

- وكان ﷺ يتنازل عن حقوقه الخاصة فلا يؤاخذ أصحابه عليها ويستحي من المطالبة بها حتى يكون الله تعالى هو الذي يطالب بها لنبيه ﷺ ((.... إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق)) ((لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض...))

وكان ﷺ يغضي عما يصدر من المنافقين كما يغضي عن المؤمنين، ولم تختلف معاملته لهم عن معاملته للمؤمنين وشاهد ذلك ما اشتهر عنه ﷺ يوم مات عبد الله بن إبي رأس المنافقين ورئيسهم فإن النبي ﷺ شيع جنازته وأعطاهم قميصه ليكفنوه فيه وصى عليه صلاة الجنازة ووقف على قبره حتى قبر ، وكان ذلك قبل أن ينهاه الله تعالى عن الصلاة على المنافقين.

وكان ﷺ يعرف المنافقين ((ولتعرفنهم في لحن القول)) ثم يستر عليهم ، ولا يفضحهم ، ومات ﷺ وأمْرُ المنافقين مستور وغير مكشوف إلا أن النبي ﷺ أسر بعض أصحابه بأسرهم واستكتمه ذلك .

- بل إنه ﷺ كان يأمر بالتستر ويحث عليه ويقول كما روي : (من أبدى صفحته للحق هلك) ويقول (نحن نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر)، بل كان ﷺ يلقن السارق ونحوه ما يسقط عنه الحد.

ومع هذه الشيم العالية والأخلاق الكريمة كان ﷺ لا يتساهل ولا يغضي عن تنفيذ ما أمره الله تعالى به من إقامة الحدود والقصاص والحكم بالعدل وإقامة الفرائض والأحكام والشرائع

- وكان ﷺ يقول : (إذا قتلتم فأحسنوا القتلة) (وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة)، وكان ﷺ ينهى عن المثلة حتى بالكلب العقور.
- وكان ﷺ يبعث إلى المسلمين البعيدين من يعلمهم أمر دينهم كبعثة مصعب من عمير إلى المدينة قبل الهجرة.
- وبعث معاذ بن جبل إلى اليمن لعدة أغراض :

1- الدعوة إلى الإسلام وتعليمهم أمر دينهم .
2- ليأخذ الزكاة من أغنيائهم ويردها في فقرائهم.
3- ليقضي بين المتنازعين ، فكان معاذ داعياً ومعلماً ومصدقاً وقاضياً

- كما بعث ﷺ علياً إلى اليمن أيضاً داعياً ومعلماً ومصدقاً وقاضياً.
- وكان ﷺ يبعث المصدقين إلى النواحي لأخذ الزكاة.
- وكان النبي ﷺ هو المتولي لقيادة الحروب الكبرى – يوم بدر، وأحد والخندق وحروبه مع اليهود – بين بني قريضة وبني النضير وبني قينقاع، وأهل خيبر ، ويوم الفتح ، ويوم حنين ، وغزوة تبوك ، وكان ﷺ هو المتولي للقضاء بين الخصوم ، وإقامة الحدود والقصاص ، وكان ﷺ هو الذي يتولى المفاوضات مع الخصوم والمحاورات والمعاهدات والعقود، وعلى الجملة فقد كان النبي ﷺ هو القائم بكل أعمال دولة القرآن وعلى رأسها تبليغ رسالة ربه، وهذا بالإضافة إلى ملازمته ﷺ بإمامة الصلوات الخمس والجمعة والخطبة ، وقيامه بحاجات أهلة كشراء الطعام ونحوه وحملة إلى بيوته ونحو ذلك .
- وكان ﷺ يشاور أصحابه في قرارات الحرب والسلم وفي النوازل الهامة إذا لم ينزل فيها وحي، أما إذا نزل فيها وحي بأمر فإنه ﷺ ينفذه من غير مشاورة.

- وكان ﷺ يجلس بين أصحابه كأحدهم حتى إن الغريب إذا جاء يسأل أيكم رسول الله ﷺ ؟ ولم يكن ﷺ يتعاظم ولا يترفع بل إن خلقه التواضع والرفق واللين والسهولة وعدم التكليف ، فبيوته مثل بيوت أصحابه أو دونها مبنية من اللبن ومسقوفة بجريد النخل وهكذا كان مسجده ﷺ .
- ليس له بيوته حرس ولا حجاب .
- يجيب دعوة من دعاه ولو كان من أوضع الناس أو أفقرهم فيدخل بيوتهم ويأكل من طعامهم ويدعو لهم ، ويصلي ركعتين في مكان من البيت لتخذوه مصلى .
- وكان العبد يأخذ بيد النبي ﷺ فيذهب به حيث يشاء لا يأنف من ذلك ولا يترفع ، وكان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ، وكان يجلس مثل جلوس العبد تواضعاً منه ﷺ .
- وكان ﷺ ربما هزل بغير معصية الله أو استمع إليه في السفر والحضر لما في ذلك من استدعاء انبساط أصحابه إليه وإقبالهم عليه ، وكان يشارك أصحابه في جدهم وهزلهم ويداعب أولادهم ، وكل ذلك لما ذكرنا .
- وكان ﷺ يتفقد أصحابه فإذا افتقد أحدهم سأل عنه فإن كان مريضاً عاده ، وإن مات شهد جنازته وصلى عليه ، وإن سافر دعا له بخير ،
- وكان ﷺ إذا رأى متنازعين أصلح بينهم ، وكان يخرج من المدينة ليصلح بين المتنازعين .
- وكان ﷺ عظيم الشفقة والرحمة والنصيحة بأصحابه شديد التلطف بهم حتى في تبليغ الأحكام إليهم ، فإذا كان في تبليغهم بعض الأحكام ما قد ينفرهم شيئاً من التنفير اختار لذلك الوقت المناسب وألقاه إليهم بألطف العبارات وأخفها ، ومثال ذلك واضح في حديث: (علي مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي) وحديث

(لأبعثن بالراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه) رواهما البخاري ، وحديث الغدير (من كنت مولاه فعلي مولاه)، وكحديث (قولوا اللهم صل على محمد وآل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد)

- وكانت سنته ﷺ إذا خرج بجيشه لغزو قوم أوهم أنه يريد غيرهم من غير أن يكذب ، وذلك من أجل :-

1- أن لا ينصب له الأعداء الكمائن في طريقه لو علموا بوجهته.

2- أن يصل بجيشه حيث يريد وعدوه على غير استعداد.

هكذا كانت غزواته ﷺ وسراياه إلا في غزوة تبوك فإنه أظهر وجهته فيها ومراده ، وذلك أنها كانت غزوة بعيدة الشقة تحتاج إلى مراكب وأزواد وإعداد واستعداد.

- وكان أصحاب النبي ﷺ في حياته على أصناف مهاجرين، وأنصار ، وفي كل منافقون ، وصادقون في إيمانهم ، وفيهم المجاهد الفاتك بسيفه في المشركين وفيهم غير ذلك ، وفيهم الثابت في مواطن القتل والقتال الصابر وفيهم من يفر ولا يثبت وفيهم ذووا الأثر العظيم في الجهاد وفيهم ذووا الأثر المتوسط وفيهم ذووا الأثر الضعيف، وفيهم الذي لا أثر له أصلاً ، وفيهم من هو شديد التعظيم للنبي ﷺ شديد الحياء منه وفيهم خلاف ذلك ،وفيهم من نوه النبي ﷺ بفضله وفيهم غير ذلك ، وفيهم من اشتهر بقلة الأدب مع النبي ﷺ ، وفيهم من كان ينتقد النبي ﷺ ويطعن عليه في تصرفاته وهم أعيان المهاجرين وكبارهم فإنهم طعنوا عليه في تأميره لأسامة ، وطعنوا عليه قبل ذلك في تأميره لأبيه زيد بن حارثة ، وطعن عليه بعضهم في صلح الحديبية ، وفي الصلاة على المنافقين قبل نزول النهي وفي الصلاة على مرجوم ومرجومة في الزنا

- وكان بعضهم ينزره صلى الله عليه وآله وسلم - أي يرفع صوته با لإستنكار على النبي صلى الله عليه وآله وسلم-
- وكان بعضهم يفرض رأيه على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقبول ذلك ، ويرفع صوته فوق صوته صلى الله عليه وآله وسلم .
- ومنهم من كان يتكلم بملإٍ فيه ضد المشركين فإذا حصل التواجه بالسيوف اختفى ، وقد ذكر الله تعالى الكثير من ذلك : ((منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة)) وذكر الله أن منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر ومنهم من بدل ، وأن منهم من وهن وضعف واستكان ومنهم من صبر .
- وتدل مصادر السيرة النبوية إلى أن اليد الطولى بشكل عام في الجهاد

والثبات والقتل والقتال هي للأنصار ولأشخاص معدودين من المهاجرين، يتبين ذلك في غزوة أحد فإن القتلى من الأنصار كانوا ستة وستين ومن المهاجرين أربعة قتلى لا غير ، ويتبين أيضاً في يوم بدر ، فإن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين خرج بالمسلمين إلى بدر وكان قد وعده الله تعالى إحدى الطائفتين ، فلما نزل ببدر بلغه أن قريشاً نزلت قريباً منه فشاور المسلمين وطلب آرائهم فأجابه بعض المهاجرين فكرر صلى الله عليه وآله وسلم السؤال فأجابه بعض المهاجرين وكرر السؤال فقام بعض كبار الأنصار فقال : كأنك تعنينا يارسول الله ، قال صلى الله عليه وآله وسلم نعم ، فقال ما معناه: قد آمنا بك وصدقناك فسر بنا إلى عدونا ، والله لو أمرتنا أن نخوض معك البحر لخضناه معك ما تخلف منا رجل والله، وتكلم بعده بعضهم فقال قريباً من مقالته ، وتكلم آخر منهم بنحو ذلك فدعا لهم بخير وأمرهم بالمسير إلى عدوهم ، وقال: أبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، فإن في ذلك دليلاً على أن الأنصار هم الجناح الفعال في الجهاد ومواجهة الأعداء من المشركين.

وقد مدح الله تعالى الأنصار بأنهم آووا المهاجرين ونصروا الإسلام ونبي الإسلام في قوله تعالى: ((والذين آووا ونصروا ...))

وقد برز فيهم الكثير وظهر فضلهم ظهوراً كبيراً ، ونوه به النبي الكريم ﷺ، إلا أن الخلافة بعد موت النبي ﷺ صارت خلافة قرشية تسيطر عليها رجالات قريش ، والمعروف أن قريشاً كانت ألد أعداء الإسلام ونبي الإسلام، فلما سيطرت على الأمر بعد النبي ﷺ همشت الأنصار وجدت في مسح فضائلها ، وصغرت في شأنها بل إنها سلطت شعراءها في أول خلافة أبي بكر على ذم الأنصار وهجائهم ، وقتلت في أول خلافة ابي بكر عظيم الأنصار سعد بن عبادة غيلة ، وكانت سياسة الخليفة الأول والثاني والثالث خاضعة لسياسة قريش ، لأن قريشاً بعد دخولها في الإسلام كرهاً يوم الفتح أصبح لها ثقل كبير ووزن عظيم في المجتمع الإسلامي راجح على وزن الأنصار، مما اضطر الخلفاء الثلاثة إلى موافقة قريش في سياستها ، وقديماً قال النبي ﷺ : (الناس تبع لقريش صالحهم لصالحهم وطالحهم لطالحهم).

وقد كانت قريش حاقدة على الأنصار لما فعلوا بهم يوم بدر من القتل والأسر ، كما كانت حاقدة على أمير المؤمنين علي عليه السلام لكثرة من قتل منهم في حروبهم مع النبي ﷺ

.

فكانت الخلافة بعد النبي ﷺ بمثابة انقلاب سياسي على أنصار دولة النبي ﷺ ، وما زالت آثار ذلك الإنقلاب السياسي قائمة حتى اليوم فأهل السنة اليوم يذمون من يحب علياً أو أهل بيته ولا يرون لهم حرمة ولا كرامة ، ويحكمون عليهم بالضلال وكل ذلك لأنهم يحبون علياً وأهل البيت ، وكما ذكرنا فإن هذا المذهب وضعه الخلفاء الثلاثة تحت ضغط قريش ،..

وعلى الجملة فقد اشتهر وتميز أهل الفضل بفضلهم على عهد الرسول ﷺ وفي عهد الخلافة رفضت قريش أهل الفضل وفضائلهم لعداوتها لهم الناتج عن تاريخهم الطويل في حرب قريش الضي خلف قتلى كثيرة من قريش في بدر وغيرها فترى قريش أن لها ثارات عند أولئك .

روج بعد موت النبي ﷺ بشخصيات لا ظهور لها في العهد النبوي ولا أثر ولا فضل ، ولا قيمة لها فيه ولا وزن اللهم إلا فضل الإسلام والهجرة الذي يشترك فيه كل مسلم مهاجر، ومن هذه الشخصيات أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة بن الجراح وخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسمرة والمغيرة وأبو موسى وأبو هريرة والوليد بن عقبة ومروان بن الحكم وكثير من الطلقاء .

[زوجات النبي ﷺ]

أول زوجات النبي ﷺ خديجة بنت خويلد تزوجها ﷺ في مكة قبل النبوة ، وكانت رضي الله عنها ذات شرف وذات مال ، وهي التي أوعزت إلى النبي ﷺ أن يتزوجها ، وسبب رغبتها فيه ﷺ ما عرفت من أمانته ، وما ظهر لها من بركته وما توسمت فيه من كرامته ، ..

وذلك أنها استأجرته ﷺ في تجارة لها إلى الشام فذهب ﷺ في هذه التجارة مع غلام لها اسمه ميسرة فربحت في هذه التجارة أكثر من سواها ، وكان ميسرة يخبرها بأحوال النبي ﷺ وصنيعه في تلك السفرة ، وبما رأى من الآيات الدالة على كرامته على الله فرغبت في الزواج بالنبي ﷺ جداً، فسعت في الزواج الميمون ، فتم بإذن الله ذلك الزواج، وخديجة هي أم أولاد النبي ﷺ جميعاً إلا واحداً من أبنائه فأمه مارية القبطية.

وحين بعثه الله تعالى نبياً ﷺ آمنت به وصدقته وهي أول من آمن به وصدق ثم بعده علي بن أبي طالب عليه السلام ، وشاركته ﷺ في مالها، وأطلقت له التصرف ، وكانت رضي الله عنها من النساء اللاتي ذكرهن النبي ﷺ بالكمال فيما روي في الصحاح عنه ﷺ أنه قال : (كمل من النساء أربع : مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد) صلى الله عليه وآله وسلم

وقد كانت تؤازر النبي ﷺ في دعوته ، وتشد عزيمته ، وتخفف عنه أحزانه و....الخ .

وماتت رضوان الله عليها قبل الهجرة بثلاث سنوات، وهو العام الذي مات فيه عمه أبو طالب، فتراكم عليه ﷺ الحزن ، فسمي هذا العام عام الحزن .

وكان النبي ﷺ يحبها كثيراً ، وصحبها ﷺ أكثر من عشرين عاماً ، ولم يزل النبي ﷺ يذكرها بعد موتها ، ويثني عليها ، وكان ﷺ يحسن إلى قرابتها بعد موتها ، وإلى أصدقائها ، وروي أن عائشة كانت تغار من خديجة من كثرت ذكر النبي ﷺ لها، وثنائه عليها، وقالت له ﷺ يوماً : قد أبدلك الله خيراً منها ، فقال ﷺ : (لا والله ما أبدلني الله خيراً منها ...الى آخر الحديث).

ولم يتزوج النبي ﷺ عليها حتى ماتت .

وقد جاء في فضلها أحاديث صحيحة مروية في الصحاح وغيرها.

ويكفيها فضلاً أنها أم أهل البيت النبوي .

ثم تزوج النبي ﷺ عائشة بنت أبي بكر في مكة بعد موت خديجة وهي في السابعة من عمرها ، ولم يدخل بها إلا في المدينة وهي بنت تسع سنوات، وقبل الدخول بعائشة تزوج النبي ﷺ بسودة بنت زمعة .

[أفضل زوجات النبي ﷺ]

أهل السنة يذهبون إلى أن عائشة أفضلهن ، والشيعة بما فيهم الزيدية يذهبون إلى أن خديجة أفضلهن ، وقد كان النبي ﷺ يحب عائشة ، وكانت أصغر نساء النبي ﷺ ولم يتزوج بكراً غيرها ،

وكانت ذكية ، وتميزت من بين زوجات النبي ﷺ بما تسبب في ذكرها في القرآن الكريم وفي السيرة النبوية ، ثم بما تسبب في ذكرها بعد العهد النبوي:-

1- فمن ذلك حديث الإفك الذي افتراه المنافقون في المدينة ، وأحدث ضجة كبيرة بين المسلمين ، فأنزل الله سبحانه وتعالى في مسح تلك الضجة الأثيمة سورة النور فبرأ الله تعالى فيها عائشة، ولعن قاذفيها ، وأنزل فيها حد القذف ، وجلد النبي ﷺ حد القذف حسان بن ثابت وحمنة بنت جحش ومسطحاً وتغاضا النبي ﷺ عن جلد عبد الله بن أبي لمصلحة الإسلام .

2- وبسبب ضياع عقد عائشة نزلت آية التيمم ،

3- وفي عائشة وحفصة بنت عمر نزلت أوائل سورة التحريم، وقد كان حصل منهما مالا ينبغي وهددهما الله تعالى وتوعدهما في هذه السورة ، فقال سبحانه : ((إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير ، عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا))

4- زوجات النبي ﷺ وإن كان لهن فضل على سائر النساء إلا أن طباعهن كطباع النساء ، فكن يؤذين النبي ﷺ بالكلام وكثرة اللوم وكثرة المطالب وإلى آخر ما يعرف من ذرابة لسان المرأة ، حتى بلغن في ذلك الأذى إلى حد نفد فيه صبر النبي ﷺ - وهو الغاية في قوة الصبر البشري – فحرمهن النبي ﷺ شهراً واعتزلهن بما فيهن عائشة وحفصة .

5- لكثرة أذى نساءه ﷺ له في المطالب الدنيوية أنزل الله تعالى لقطع ذلك الأذى قرآناً في سورة الأحزاب ، أمر الله فيه النبي ﷺ أن يدعو نساءه ويخيرهن بين خيرتين إما أن يختاروا الحياة الدنيا وزينتها وإما أن يختاروا الرسول ﷺ فقال تعالى : ((إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً)) فخير النبي ﷺ نساءه وخير عائشة خاصة .

6- كانت عائشة واحداً من الأسباب التي أثارت الناس على الثورة على عثمان بن عفان حتى قتل، وقد كان قتل عثمان باب فتنة بعيد ة

المدى ، وكانت عائشة عثمان نعثلاً، وتقول: اقتلوا نعثلاً فقد كفر .

7- وكان لعائشة دور فعال في تحميس الناس على حرب علي بن أبي طالب في البصرة (حرب الجمل) وقد كانت في هذه الحرب قائدة ميدانية .



8- كان لعائشة علم وفقه وقد روي عنه من ذلك شيء كثير.

9- تعمرت عائشة كثيراً بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأدركت الخلاف بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم دخلت في الفتنة ضد علي بن أبي طالب .

[رأينا في عائشة]

رأينا في عائشة هو أنها زوجة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فهي صحابية من الدرجة الأولى ، وهي - وإن صدر منها ما صدر من حرب علي بن أبي طالب ، وعداوتها لأهل البيت –حرمتها الأولى باقية بمعنى أن حرمتها في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبعد الدخول في الفتنة سواء ، لم تنقص حرمتها بسبب الدخول في الفتنة ، وهكذا كان يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ففي نهج البلاغة كلام تشكى فيه أمير المؤمنين من عائشة ثم قال بعد ذلك : (ولها بعد حرمتها الأولى وحسابها على الله) .

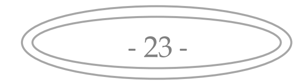
10- انقسم الصحابة ثم من بعدهم إلى شيعة وسنة، وكانت عائشة في صف أهل السنة .

11- الذي يرويه محدثوا الزيدية أن عائشة هي التي قالت لبلال من تلقاء نفسها : مر أبا بكر فليصل بالناس .

12- وهكذا رووا أن علياً هو الذي كان قائماً على موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى خرجت رواحة صلى الله عليه وآله وسلم فغمض عينيه ومسح وجهه وسواه صلى الله عليه وآله وسلم لا عائشة .

[وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزوجاته]

أوصاهن النبي صلى الله عليه وآله وسلم بلزوم قرارة بيوتهن وكرر عليهن وصية الله لهن في كتابه ، .



وقد كان ﷺ علم بالوحي أن إحدى زوجاته ستخرج في فتنة يقتل عن يمينها وعن شمالها قتلى كثيرة كلها في النار ، فحذر ﷺ نساءه من ذلك ، وقال ﷺ : ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تنبحها كلاب الحوأب ، ثم قال لعائشة : إياك أن تكوني إياها يا حميرا.

[أم سلمة]

ومن زوجاته ﷺ أم سلمة ولها رواية وعندها علم وبصيرة ، وكانت تنهى عائشة وتعظها من الدخول في الفتنة .

[بقية زوجات النبي ﷺ]

ومن زوجاته حفصة بنت عمر ورملة بنت أبي سفيان وصفية بنت حيي بن أخطب وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت جحش ، وكانت زينب قبل زواجها بالنبي ﷺ مزوجة مع زيد بن حارثة مولى النبي ﷺ ، وكان ﷺ قبل الإسلام قد تبنى زيداً فكان يقال له زيد بن محمد ﷺ مدة طويلة ، إلى أن أنزل الله تعالى في ابطال التبني مآ أنزل من القرآن في سورة الأحزاب: ((وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ادعوهم لآبآئهم ....الآية)

وللمبالغة في إبطال تلك السنة أمر الله نبيه ﷺ أن يتزوج بزينب بنت جحش بعد أن يطلقها زيد ، فضاق النبي ﷺ ذرعاً بهذا الأمر لما يتوقع من سوء قالة الناس ومقتهم له حيث تزوج بزوجة ابنه : ((وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه)) ((فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً

...)) ((ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين)) المعنى أن محمداً النبي ﷺ ليس بأب لزيد بن حارثة كما تعتقدون لأن زيداً ليس من قرابة النبي ﷺ ولا من رجال بني هاشم بل هو رجل من رجالكم الذين لا يربطهم بالنبي ﷺ نسب ولا قرابة .

[سيرته ﷺ مع زوجاته]

كان ﷺ يقسم بينهن الليالي والأيام إلا سودة بنت زمعة فإنها وهبت نوبتها لعائشة ، وسبب ذلك أنها كانت قد أسنت وكبرت فخافت أن يطلقها النبي ﷺ من أجل ذلك ، فتنازلت عن نوبتها لعائشة فرضي النبي ﷺ بذلك ، وفي ذلك نزل قوله تعالى : ((وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يَصَّالحا بينهما صلحاً والصلح خير ....))

- وكان إذا سافر أقرع بين نسائه ايتهن تخرج معه فمن خرج سهمها خرجت معه .
- كان ﷺ لطيفاً في معاشرة زوجاته ، لا يؤاخذهن على ما بدر منهن من سوء الأدب وسلاطة اللسان ورفع الصوت ، وقد لقي ﷺ من ذلك أذى كثيراً حتى هجرهن شهراً وأنزل الله تعالى في ذلك قرآناً في سورة الأحزاب وسورة التحريم وكان ﷺ يقول مامعناه: (المرأة كالضلع الأعوج إن اقمته كسرته وإن استمتعت بها استمتعت وفيها عوج فاستوصوا بالنساء خيراً) وقال ﷺ : (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي)
- وحج ﷺ بنسائه في حجة الوداع

[الهجرة الأولى الحبشة]

و لما رأى النبي ﷺ ما يصيب أصحابه المسلمين المستضعفين من البلاء و العذاب، وأنه لا يستطيع دفعه عنهم، ولا نصرتهم قال لهم : ((لو خرجتم إلى أرض الحبشة، إن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، و هي ارض صدق حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه)).

[الهجرة إلى الحبشة]

لما رأى النبي ﷺ ما يلحق المؤمنين بمكة من الأذى و التعذيب أشار عليهم بالهجرة إلى الحبشة، لما اشتهر من إن بها ملكاً لا يظلم عنده أحد، فهاجر الكثير من المستضعفين عن مكة، و نزلوا أرض الحبشة في جوار ملكها العادل.

فلما عرفت قريش بذلك أرسلت جماعة فيهم عمرو بن العاص، معهم هدايا لملك الحبشة ، و مهمتهم هي أن يغروا ملك الحبشة بالمسلمين النازلين بأرضه و بجواره، وأن يتوصلوا إلى ذلك بكل حيلة، و كان ملك الحبشة نصرانيا ، فقال له عمر بن العاص : إن هؤلاء النازلين بك يقولون في عيسى قولا عظيما ، يقولون أنه عبدٌ و إنه ابن مريم و ليس ابن الله، هذا بعض ما قال عمر بن العاص ، فدعا الملك المسلمين، فجاءوا، و كان على رأسهم جعفر بن أبي طالب ، كان بطارقة الملك حاضرين، فقال عمر بن العاص: سلهم عن عيسى، فسألهم الملك، فتصدر للجواب جعفر بن أبي طالب، فقال : كما جاء في القرآن ((إنه عبد الله و كلمته ألقاها إلى مريم و روح منه ...الآية)) فقال الملك : والله ما زاد عيسى على ما ذكرت شيئاً، فأذل الله عمرو بن العاص، وخيب أمله وخرج خائبا خاسرا، وعاد مع رفقته إلى مكة مكبوتاً، و ذهبت حيلته و دهائه و مكره أدراج الرياح، بل ضاع بعض جماعة عمرو بن العاص في الحبشة ، وزادت عناية الملك بالمسلمين النازلين به، و أسلم الملك، وأسلم جماعة

من رهبان بلاده، و وفد جماعة منهم إلى النبي ﷺ ، و تزوج النبي ﷺ برملة بنت أبي سفيان، و كانت من المهاجرات إلى الحبشة، وأمهرها النجاشي ، و مات النجاشي بعد الهجرة ،و صلى عليه النبي ﷺ و المسلمون صلاة الجنازة و كبر عليه النبي ﷺ خمس تكبيرات حسب رواية أهل البيت .

و روي أنه نزل في وفد النصارى الذين بعثهم النجاشى إلى النبي ﷺ قوله تعالى:((و إذا سمعوا ما انزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا أمنا فاكتبنا مع الشاهدين و ما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من الحق و نطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها و ذلك جزاء المحسنين)).

[حالة العرب قبل البعثة و حين البعثة]

كانت قريش و سائر العرب في ضلال عظيم، يعبدون الأصنام ، فقد فشى الظلم والقتل و السبي، ويغير بعضهم على بعض، فيقتل الرجال، ويسبي النساء والولدان، وكانت بلاد العرب كلها خائفة إلا قريشاً،فإنهم كانوا آمنيين حيث ما كانوا، لأن العرب كانوا يعظمون أهل الحرم المحرم و لاسيما بعد ما نزل بأصحاب ألفيل ما نزل من العذاب، وتماماً كما قال سبحانه يذكر قريشاً بهذه النعمة : ((أولم نجعل لم حرما أمنا و يتخطف الناس من حولهم))، و كانت قريش تسافر للتجارة في كل سنة مرتين، مرة إلى الشام، ومرة إلى اليمن ، فلا يتعرض لهم في أسفارهم أحد، و نزل القرآن يذكرهم بهذه النعمة، فقال سبحانه: ((بسم الله

الرحمن الرحيم ، لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء و ا لصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع و آمنهم من خوف))،.

و كان دين إبراهيم و إسماعيل قد انطمس، ولم يبق إلا ظواهر لا صلة لها بالدين، وتماما كما قال سبحانه :((و ما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً و تصدية))، و كان فوق الكعبة و جوفها و حولها ثلاثمائة وستون صنماً، وكانوا يطوفون بالبيت عراة .....الخ، ما ذكر في كتب السير و الأخبار ، و قد ذكر الله تعالى بعض دياناتهم في القرآن، فمن ذلك أنهم حرموا من الإنعام البحيرة و السائبة والوصيلة والحام ، وأحلوا أكل الميتة والدم ، وكانوا يئدون البنات ، و قالوا بأن الملائكة بنات الله سبحانه وتعالى، وكانوا ينكرون البعث والحساب والجنة والنار.

[عموم الرسالة و طبيعتها]

أرسل الله تعالى رسوله محمداً ﷺ إلى الناس كافة عربهم و عجمهم و أسودهم و أبيضهم و قريبهم و بعيدهم لقوله تعالى: ((قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا))، و قوله تعالى: ((و ما أرسلناك إلا كافة للناس ....))، وقوله تعالى: ((و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين))، ولا خلاف في ذلك بين المسلمين.

و نبينا محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء و المرسلين، فلا نبي بعده، و دينه و شريعته خاتمة الأديان و الشرائع، و قد أمر الله تعالى أهل التوراة وأهل الإنجيل أن يتبعوا محمداً ﷺ

قال تعالى: ((الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة و الإنجيل يأمرهم بالمعروف و ينهاهم عن النكر و يحل لهم الطيبات و يحرم عليم الخبائث و يضع عنهم إصرهم و الأغلال التي كانت عليهم .....الآية))، و لما كان دين الإسلام هو خاتمة الأديان و الذي جاء به خاتم الرسل صلوات الله عليهم جعله الله تعالى عامّاً لكل المكلفين ، بناه الله تعالى على الحكمه و الرحمة و الرفق و التسامح، وعلى التخفيف في شرائعه و أحكامه و التوسعة و التيسير مع مراعاة المصالح العامة و دفع المفاسد و المهالك في كل أحكامه، و قد جعله الله تعالى بعلمه و حكمته متناسبا مع مصالح البشر و منافعهم على اختلاف طبائعهم و أجناسهم على مر العصور إلى يوم القيامة ، ومن الأدلة الملموسة على ما ذكرنا ما ظهر و اشتهر في العالم في هذه الأزمان المتأخرة من انتشار مرض الايدز الذي أعيا الأطباء، واعجزهم، وتعد ضحاياه بالملايين في كل العالم ، و هذا المرض ناتج عن الزنا و اللواط، وأكثر انتشاره في الدول الغربية،و قد كانت الدول الغربية تدعو إلى حرية الإنسان و تنتقد الإسلام في تقييده للحرية ، ولا سبيل للإنسان اليوم إلى التخلص من ذلك المرض المهلك ألفاشي و المنتشر في المجتمعات إلا بترك الزنا و اللواط .

فالله تعالى برحمته جعل في هذا الدين خير الدنيا و الآخرة و سعادة الدنيا و الآخرة، و يريد الله سبحانه أن يخرج الناس به من الظلمات إلى النور، ويزكيهم، ويطهرهم، ويرفع شأنهم، وينزلهم منازل العزة والكرامة و الرفعة في الدنيا و الآخرة، و يحل لهم الطبيات و يحرم عليهم الخبائث .

[موقف قريش من محمد ﷺ و رسالته]

استنكرت قريش ما جائهم به محمد ﷺ وردته وعاندته ، وحاولت محو و طمس ما جاءهم به محمد ﷺ ، وسعت إلى التخلص منه بكل حيلة و بما تهيأ لها من وسيلة ، ومع

ذلك فلم يزل محمد ﷺ يدعو إلى الإسلام بكل جد، فدخل في الإسلام جماعة من مستضعفي قريش و من الموالي .

فكانت قريش تعذب كل من دخل في الإسلام إلا إذا كان في جوار عظيم من عظمائها ، و قد كان النبي ﷺ في حماية عمه أبي طالب ، و كان أبو طالب سيد قريش، لذلك كان النبي ﷺ في مأمن من أذى قرش لمكانة أبي طالب و مكانة عشيرته من بني هاشم وبني المطلب، فما زال النبي ﷺ في ظل تلك الحماية من حين بعثته ﷺ إلى السنة العاشرة من بعثته، فإن أبا طالب مات يومئذ، وفيها ماتت خديجة فخاف النبي ﷺ في مكة، وخرج منها إلى الطائف، ثم دخل مكة بجوار المطعم بن عدي، وحج النبي ﷺ في هذه السنة والتقا بجماعة من أهل المدينة، وكان ذلك قبل الهجرة بثلاث سنوات، وكانوا اثني عشر رجلاً من الأنصار، فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، وبايعوا، وسميت هذه البيعة ببيعة العقبة الأولى، فعادوا إلى المدينة، ومعهم مصعب بن عمير، يعلمهم الإسلام، ويقرؤهم القرآن، فرجع في العام الثاني ومعه ثلاثة و سبعون رجلاً وامرأتان، فكانت بيعة العقبة الثانية، وقال ﷺ : ((اخرجوا إليَّ منكم إثني عشر نقيباً ليكونوا على قومهم)) فأخرجوا تسعة من الأوس و ثلاثة من الخزرج ، فلما عادوا إلى المدينة أظهروا الإسلام ، وأصبح المجتمع هناك مهيئاً لهجرة المسلمين ونبيهم ﷺ .

[طبيعة فترة ما قبل الهجرة]

تميزت فترة ما قبل الهجرة على فترة ما بعد الهجرة بأمور:

1- إن الله تعالى أمر نبيه ﷺ و المسلمين في مكة بالدعوة إلى دين الله، والصبر على أذى المشركين، والتجاوز عن ما يلحقهم في سبيل ذلك من العذاب و الأذى ، و أمرهم

الله تعالى بالكف عن القتال ((اصبر على ما يقولون و اهجرهم هجرا جميلا)) ((فاصفح الصفح الجميل)) .

2- كانت الدعوة في مكة إلى توحيد الله تعالى و تنزهيه عن الشرك، و ترك عبادة الأصنام، وإلى التصديق برسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وإلى التصديق إلى بما جاء به من البعث و الحساب والجنة و النار و من الإيمان بأنبياء الله و رسله و كتبه.... الخ.

[إسلام أبي طالب]

آمن أبو طالب بن عبد المطالب بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وصدق بها، وله قصائد، و أشعار مشهورة، يرويها أهل السنة والشيعة، يصرح فيها بالإسلام و التصديق بالنبي و برسالته ، و قد كان أبو طالب يعرف نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم من قبل بعثته، وكذا عبد المطلب لأخبار تلقوها من أهل الكتاب ، من أخرها ما سمعه أبو طالب من بحيرى الراهب في سفرة سافرها أبو طالب إلى السام و معه محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد كان صغيرا في سن الثانية عشرة من عمره، وذلك في بلدة بصرى التي كانت بها صومعة الراهب بحيرى ، فإنه أخبر أبا طالب بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بأمارات ظهرت له، وأوصاه بالمحافظة عليه، وحذره من اليهود ..,لذلك آمن أبو طالب، وصدق، ونصر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في مكة نصرا عزيزاً، و حماه، و دافع عنه، وحال بينه وبين أذى قريش، وقد حكى الإمام عبد الله بن حمزة عليه السلام إجماع أهل البيت على إسلام أبي طالب ، و قد وضع بعض أهل السنة و هو أحمد بن زيني دحلان كتابا يبين فيه إسلام أبي طالب ضمنه الدلائل الدالة على إسلامه كقصائده و أشعاره و غير ذلك و سماه ((أسمى المطالب في إسلام طالب))، و الدلائل التي تضمنها هذا الكتاب مأخوذة من كتب أهل السنة و مصادرهم المعتمدة، و هي دلائل كثيرة غير أن تعصب أهل السنة و تحمسهم ضد أهل البيت والشيعة وما يتصل بهم يأبى الاعتراف

بإسلامه، ويصر على الجحود بإيمانه، وعلى أنه مات مشركا ، و ما إصرارهم على الجحود لإسلام أبي طالب إلا كإصرارهم على جحود فضائل علي و أهل البيت و الشيعة و التنكر لذلك .

نعم فإذا اعتبرنا قول أهل السنة المنكر لإسلامه و وازنا بينه و بين قول القائلين بإسلامه كان الواجب علينا الحكم بإسلامه لأن المقرر في شرائع الإسلام و قواعده المسلمة عند جميع علماء المسلمين أن شهادة المثبت أولى من شهادة النافي ، وخبر المثبت أولى من خبر النافي ، وراوية المثبت خير من رواية النافي ، و إن من يعلم حجة على من لا يعلم،و من شعر أبي طالب المشهور عند أهل السنة من قصيدة قالها حين حوصر في الشعب:

الم تعلموا أنا وجدنا محمداً نبياً كموسى خط في أول الكتب

فجزى الله أبا طالب عن الإسلام ونبي الإسلام خيراً فلقد كفل النبي ورباه صغيراً ، ثم

نصره وأيده وحماه حين بعثه الله نبياً ، فكان ﷺ يصدع برسالته وينشر دعوته في مكة تحت حماية أبي طالب ورعايته ، ولم يزل ﷺ على نشر الدعوة إلى سنة عشر من البعثة، وهي السنة التي مات فيها أبو طالب فخرج ﷺ منها خائفاً.

نعم هناك رواية رويت في المجموع إن ابا طالب كره هيئة السجود حين رأى النبي و علياً عليه السلام يصليان، و قال : و الله لو تعلوني إستي ...

فأبو طالب قال ذلك في مكة قبل أن تفرض الصلاة و الصيام و سائر شرائع الإسلام،فلم يكن حين ذاك من الواجبات إلا شهادة أن لا اله إلا الله و أن محمداً رسول الله ﷺ .

فمن قالها و صدق بها فهو مسلم، و كان ﷺ يقول في ذلك الوقت من قال لا اله إلا الله دخل الجنة ، فكان ذلك هو الفريضة الوحيدة ، و لم تفرض ألفرائض إلا بعد الهجرة إلى المدينة، و يدل على إسلامه أيضا ما ثبت بالتواتر و اشتهر بين أهل السنة و غيرهم أن قريشاً لما رأوا إصرار أبي طالب على مناصرة محمد ﷺ ، و آيسوا منه، و علموا أنه لن يسلمه، ولن يتركه اجتمعوا، وتشاوروا، و أجمعوا على محاصرة بني هاشم و مقاطعتهم، فلا يباع منهم، ولا يشترى، ولا يدخل معهم أحد في معاملة، ولا مناكحة، فدخل بنو هاشم في شعب أبي طالب و على رأسهم أبو طالب و طبقت عليهم قريش ذلك الحصار و استمر بهم الحصار سنتين أو ثلاثاً .

و كانت قريش قد تعاقدت و تعاهدت على هذا الحصار و تنفيذه و كتبت ذلك في كتاب و علقته في جوف الكعبة.

و قال النبي ﷺ لعمه أبي طالب إن الأرضة قد أكلت الكتاب المعلق في الكعبة إلا

كلمة باسمك اللهم، فذهب أبو طالب إلى قريش وقال لهم: إن ابن أخي أخبرني أن الأرضة قد أكلت الكتاب الذي علقتموه في الكعبة إلا باسمك اللهم فإن كان حقا فلا تظلمونا، وإن كان كذبا فشأنكم، هذا معنى كلامه فوجدت قريش الأمر كما ذكر، ولكنهم لم يرعووا عن ظلم بني هاشم و مقاطعتهم حتى ائتمر خمسة أنفار من قريش ممن لهم ببني هاشم قرابة في نقض الحصار على بني هاشم، فتكلم كل واحد من الخمسة حين اجتمعت قريش للتنديد بالحصار و تقبيحه، فقال أبو جهل: هذا أمر دبر بليل، ففشل الحصار و انتهى من يومئذ .

وروى أهل البيت أن النبي ﷺ أمر عليا حين مات أبو طالب أن يجهزه فإذا أكمل تجهيزه فليؤذنه فلما أكمل عليٌّ تجهيزه أخبر النبي ﷺ فجاء النبي ﷺ ، وكشف عن وجه أبي طالب و قبّل ما بين عينيه، وقال جزاك الله عني خيراً...الخ.

(تاريخ اليعقوبي) : ولما قيل لرسول الله ﷺ أن أبا طالب قد مات عظم ذلك في قلبه واشتد له جزعه ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجنبه الأيسر ثلاث مرات ثم قال ياعم : ربيت صغيراً وكفلت كبيراً فجزاك الله عني خيراً ومشى بين يدي سريره ، وجعل يعرضه ويقول : وصلتك رحم وجزيت خيراً.

في المصابيح لأبي العباس بسنده عن جعفر بن محمد قال قال علي عليه السلام : ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف صنماً قط ، قيل وما كانوا يعبدون ؟ قال كانوا يصلون إلى البيت على دين إبراهيم الخليل ، وبسنده عن جعفر بن محمد قال قال رسول الله ﷺ : يبعث عبد المطلب يوم القيامة أمة وحده ، قال وكان لا يستقسم بالأزلام ولايعبد الأصنام ويقول أنا على دين إبراهيم الخليل .

و ما رواه أهل السنة مستدلين به على أن أبا طالب مات مشركاً فغير مقبول، ولا يجوز قبوله و تصديقه لما هو معروف من شدة عداوتهم لآل أبي طالب ، ومن المعروف المتفق عليه بين أهل الإسلام أنها لا تقبل شهادة العدو على عدوه .

[التدريج في الدعوة]

لم يؤمر النبي ﷺ في السنوات الثلاث الأولى من البعثة بأن يدعو أحداً إلى الإسلام، فلم بكن معه في الإسلام في هذه الفترة احد إلا زوجته خديجة و ابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام، فإنهما دخلا معه في الإسلام في أول يوم ابتعثه الله فيه، فقد أسلمت

خديجة و آمنت في نفس اليوم الذي نزل عليه فيه جبريل عليه السلام بالنبوة، و كان ذلك يوم الاثنين و أسلم علي عليه السلام و آمن في اليوم التالي ، و في الرواية المشهورة عن أبن عفيف الكندي و كان تاجراً فجاء إلى مكة، وكان صديقاً للعباس بن عبد المطلب، فبينما هو يوم عند العباس إذ رأى شابا أقبل فوقف قائماً، ثم أقبل غلام مراهق، فوقف عن يمينه، ثم أقبلت امرأة فوقفت خلفه، فإذا ركع الشاب ركع الغلام والمرأة، وإذا سجد سجد الغلام و المرأة ، فقال الكندي ما هذا يا عباس؟ قال العباس : هذا الشاب محمد بن عبدا لله ابن أخي، وذلك الغلام علي بن أبي طالب ابن أخي، وتلك المرأة خديجة بنت خويلد زوجة محمد، و قد زعم أن الله قد بعثه نبيا ،ولا والله ما على وجه الأرض على هذا الدين غيرهم .....الخ.

و قد روى أئمة الزيدية و محدثوهم و كثير من محدثي أهل السنة عن علي عليه السلام أنه قال ما معناه :(صليت ست سنين مع النبي ﷺ قبل الناس، وفي رواية سبع سنين ، و لا خلاف عند جميع فرق الشيعة أن عليا أول ذكر أسلم، واختلف أهل السنة فقال بعضهم إن علياً أول من أسلم وقال بعضهم: أبو بكر أول من أسلم، وجاء

فريق ثالث و قال : أبو بكر أول من اسلم من الرجال و علي أول من أسلم من الصبيان. المرحلة الثانية جاءت بعد السنوات الثلاث ، أمره الله تعالى أن يدعو عشيرته الأقربين، قال تعالى:((وأنذر عشيرتك الأقربين)) فلما أمره الله تعالى بذلك أمر عليا أن يجمع له بني عبد المطلب، و هم أربعون رجلاً، يزيدون رجلاً، أو ينقصون رجلاً، فجمعهم علي و ذبح لهم شاة، فلما أكلوا و شبعوا و تهيأ النبي ﷺ للكلام و الدعوة تكلم أبو لهب فقال : سحركم الرجل، فلم يتهيأ للنبي ﷺ يومئذ الكلام، فأمر عليا أن يجمعهم له مرة أخرى، وأن يذبح لهم شاة، فلما شبعوا تكلم النبي ﷺ في بني عبد المطلب، ودعاهم إلى

الإسلام، واحتج عليهم بدلائل صدقة و بنبوته فلم يجبه أحد إلا علي عليه السلام، فإنه آمن به ،و صدق، وكان علي كما يقول هو عن نفسه :((أحمشهم ساقاً وأعظمهم بطناً وقد كان النبي ﷺ قال لهم من جملة ما قال: ((من يبايعني منكم على أن يكون أخي و وصيي و خليفتي ....الخ.

فلم يجبه أحد إلا علي فقال أبو لهب لأبي طالب : قد أمرك محمد أن تسمع و تطيع لابنك، و قد كان أبو طالب شيخ بني هاشم و سيدهم المطاع، بل و سيد قريش على الإطلاق، فكان لذلك يحافظ على مكانته فيهم، لذلك أخفى إسلامه في أول الأمر لتتسنى له مناصرة النبي ﷺ و المدافعة عنه و المحافظة عليه ، و لو أنه أعلن إسلامه من أول يوم لتركته قريش و بنو هاشم، وعصوه، وخالفوه، ولما استطاع حماية النبي ﷺ ولا المدافعة عنه.

ثم جاءت بعد ذلك المرحلة الثالثة : أمره الله تعالى بتعميم الدعوة في قريش فقال سبحانه و تعالى: ((فاصدع بما تؤمر و أعرض عن المشركين))، فدعا النبي ﷺ قريشاً، فقال ﷺ : ((يا بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني لؤي أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني؟ قالوا : نعم ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال أبو لهب : تباً لك سائر اليوم إن دعوتنا إلا لهذا ؟ و أزل الله ((تبت يدي أبا لهب و تب)) .ألخ

وعلى الجملة فقد صدع النبي ﷺ في قريش بالدعوة، وبالغ فيها بكل جد و إخلاص، حتى لقد كاد ﷺ أن يقتله الأسف حين لم يسلموا، وكادت شفقته عليهم من غضب الله أن تصرعه حين فاته إسلامهم وما زال مع ذلك يتابعهم، ويلاحقهم بالنصيحة و الدعوة المخلصة حتى رحمه ربه جل وعلا مما هو فيه من النصب و التعب و العناء في ملاحقتهم و

الشفقة عليهم من غضب الله تعالى، فقال له تعالى : ((لعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا)).

ثم جاءت المرحلة الأخيرة من الدعوة و هي : تعميم الدعوة فقال الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم : ((لتنذر أم القرى ومن حولها)) ((لتنذر قوما ما إنذر أباءهم فهم غافلون)) ((لأنذركم به و من بلغ)) ((و من يكفر به من الأحزاب فالنار موعده)) ((و ما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا)) ((و ما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) .

لذلك كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو القبائل في مواسم الحج، ويعرض نفسه عليهم، وخرج إلى الطائف فلم يطعه أحد حتى السنة العاشرة من البعثة أطاعه رجال من أهل المدينة و بايعوه على العقبة في طرف منى، ثم في السنة الثانية بايعه عدد كبير من أهل المدينة على العقبة أيضاً، ثم انتشر الإسلام في المدينة، وهاجر النبي صلى الله عليه وآله وسلم و المسلمون كما قدمنا .

[موقف قريش العام من نبي الإسلام و دعوته]

لم يجهد احد من المشركين مثل ما جهدت قريش في عداوة الإسلام و نبي الإسلام ، فقد كانت قريش أشد أعداء النبي صلى الله عليه وآله وسلم و المسلمين ، و لم يبلغ احد من المشركين في عداوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مثل ما بلغوا ، و لم يحرص احد على تكذيبه مثل ما حرصوا ، و لم يسع أحد مثل سعيهم في إطفاء نور الإسلام، و أكثر الحروب التي واجهها النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت من قريش، فهم أهل غزوة بدر، و أهل غزوة احد ،و أهل غزوة الخندق ،و كانت هذه

الثلاث الغزوات اكبر و أعظم ما واجهه النبي صلى الله عليه وآله وسلم و المسلمون من الحروب، و أما سائر حروبه صلى الله عليه وآله وسلم فقد كانت مع اليهود و مع ثقيف .

أما حروبه مع اليهود فلم يلقى النبي صلى الله عليه وآله وسلم و المسلمون كبير عناء، ولم يلحقهم فيها خسائر بشرية أو مادية تذكر، وأما حربهم مع ثقيف فقد لحق المسلمين أول المواجهة الفشل و الخوف والفزع حتى ولوا هاربين ، و ثبت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في جماعة من أهل بيته، فلم يفروا، وثبتوا، وجالدوا ثقيف حتى منحهم الله النصر، وأنزل عليهم السكينة، ثم تراجع الفارون، فكانت الهزيمة الساحقة لثقيف و الظفر والغنيمة للمسلمين، وقد كان هناك غزوات ظفر بها المسلمون من غير كبير عناء مثل غزوة بني المصطلق .

و لم تدخل قريش في الإسلام إلا كرها حين غزاهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم و جيوشه الجرارة، فدخلوا مكة، ورأت قريش أنه لا قبل لها بقتالهم، فاستسلمت مكرهة حين استيقنت إنه لا نجاة لها من ضرب الرقاب إلا الإستسلام، و قد صرف الله سبحانه و تعالى في القرآن لقريش الآيات و الدلالات و الحجج والبينات، فما زادهم ذلك إلا نفورا ، و تماما كما وصفهم الله عز و جل:((و لقد صرفنا في هذا القرآن ليذّكروا و ما يزيدهم إلا نفورا)) فتمردوا على الله تعالى و على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم بعد وضوح الآيات و البينات غاية التمرد، و كذبوا، و استهزءوا، وقد حكى الله تعالى الكثير عن تمردهم و غاية طغيانهم، فمن ذلك قوله تعالى :((و قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الأنهار خلالها تفجرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء و لم نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولا)) .

و كانت قريش كما وصفها الله تعلى تصد الناس عن محمد ﷺ وعن دينه، وتحذر الناس ، وكانوا إذا جاء موسم الحج أو العمرة يجعلون على مداخل مكة و الحرم و في طرقها من يحذر من محمد ﷺ و من قربه و من الاستماع إلى حديثه لأنه يفرق بسحره بين الوالد و ولده و الاخ وأخيه، و أنه يسحر الناس بكلامه، فيدخل الحجاج و العمار مكة وهم على الغاية من الحذر و الإنتباه خوفا من سحر محمد ﷺ .

و كم ذكر الله قريشا في القرآن بصفة الكفر و الصد عن سبيل الله كقوله تعالى:((الذين كفروا و صدوا عن سبيل الله أضل أعمالهم)) و قوله تعالى: ((إن الذين كفروا و يصدون عن سبيل الله و المسجد الحرم الذي جعلناه سواءً العاكف فيه و الباد)) .

[و من صور الصد عن الإسلام الذي كانت تفعله قريش]

ما اشتهر عند أهل الأخبار والسير أن عمارا و أباه ياسرا و أمه سمية كانوا أهل بيت مسلمين، و كانوا من السابقين إلى الإسلام، وكانوا مماليك لبعض بني مخزوم، فضيقوا على آل ياسر، وعذبوهم ليتركوا الإسلام، فلم يتركوه و شددوا عليهم العذاب، ونوعوه فلم ينفع ذلك ، فاقام أبو جهل سمية على مكان مرتفع، وجردها عن ثيابها وطعنها بالحربة في فرجها فماتت رحمة الله عليها، ثم قتلوا زوجها ياسراً بصورة قبيحة، ثم مالوا إلى ولدها عمار ليلحقوه بأبويه فتكلم لهم بكلمة الكفر في لسانه، وقلبه مطمئن بالإيمان، فأسلموه فخاف عمار من كلمة الكفر التي أرضاهم بها، و ذهب إلى رسول الله ﷺ ، وقص عليه القصة، فنزل قوله تعالى: ((إلا من أكره و قلبه مطمئن بالإيمان))، فقال النبي ﷺ :((إن عادوا لك بالتعذيب فعد لهم))، و قد كان النبي ﷺ يمر على آل ياسر و هم يعذبون فيقول لهم

: ((ابشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة)) و هكذا كانت قريش تصنع بضعفاء المؤمنين ، و كان الأغلب من المسلمين ضعفاء .

[وقائع هامة حدثت قبل الهجرة]

[1-الإسراء:]

حدث في مكة قبل الهجرة أن أكرم الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالإسراء به في ليلة من الليالي من مكة إلى المسجد الأقصى في القدس بأرض فلسطين، وأراه في هذه الرحلة المباركة بعض آياته ، ثم رده الله تعالى إلى مكة في نفس الليلة ، وقد ذكر الله تعالى هذه الحادثة الكريمة في القرآن فقال سبحانه و تعالى: ((سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير))، والآيات التي أراها الله تعالى لنبيه ﷺ في هذه الرحلة الكريمة هي ما رأى من أثار عظمة الله و أثار قدرته و علمه و أثار رحمته و فضله وكرامته، وفي هذه الحادثة:

1- أن هذه الكرامة التي حصلت للنبي ﷺ تزيد في إطمئنان النبي ﷺ بكرامته على الله و عظيم منزلته لربه ، و قد كان النبي ﷺ في حاجة إلى مثل ذلك، لما كان يلقى من المشركين في مكة من الاستهزاء والاستخفاف و التحقير و الذم والتكذيب والأذى المتواصل يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة، فربما خطر ببال النبي ﷺ أن السبب في حصول ذلك قد يكون في تناقص كرامته عند الله ، فكان في هذه الحادثة ما يذهب قلق النبي ﷺ و خوفه.....الخ.

و قد كان ﷺ كثيرا ما يقلق و يحزن مخافة أن يكون ﷺ قصر في ما أمر به بعض تقصير، أو صدر منه ما يقلل من رضوان الله عليه، أو ينقص منزلته و كرامته لربه، أو فعل ما يكرهه الله أو ما يلام عليه، و لمثل ذلك نزلت سورة الضحى، يبين الله تعالى فيها لنبيه الكريم مقسما أنه ما تركه، وما أبغضه وأنه ما زوى عنه الدنيا وأعطاها لغيره إلا لأن الآخرة هي خير له و أفضل من الدنيا، ثم اخبره في هذه السورة بعظيم رحمته به و كبير فضله عليه، فقال سبحانه:((ألم يجدك يتيما فأوى و وجدك ضالا فهدى و وجدك عائلا فأغنى))، و نزل أيضا في مثل ذلك سورة ألم نشرح لك صدرك يطمئن الله تعالى قلب نبيه أن ما هو فيه من الشدة و التكذيب والضعف ليس لهوانه على الله، بدليل ما أعطاه الله تعالى من شرح صدره، ووضع وزره، ورفع ذكره، وأكد له بعد ذلك أنما هو فيه من العسر لابد أن يعقبه اليسر .

2- أن هذه الحادثة الكريمة ستكون أية بينة و دلالة واضحة على صحة نبوتة و صدق دعوته، و إكبات المكذبين و التخفيف من استهزائهم، وذلك أن النبي ﷺ لما أصبح صباح تلك الليلة تحدث بما أكرمه الله تعالى به من كرامة الإسراء بتلك الليلة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فقص ذلك على المسلمين والمشركين، ولغرابتها استمع إليها المشركون، وأنصتوا ، ورأوا ا أنهم سيجدون فيها طريقاً إلى زيادة الاستهزاء، فكذبوا بما سمعوا، واستهزئوا، وسألوه أن يصف لهم المسجد الأقصى إن كان صادقاً، فوصفه لهم كما هو من غير زيادة ولا نقصان، فخرسوا، وأخبرهم ﷺ بما رأى في الطريق، وأنه أكفأ إناء ماء لواحد من مسافري قريش في مكان سماه ، و اخبرهم أنه يطلع عليهم بعض مسافريهم من ذلك المكان بعد شروق الشمس، فكان الأمر كما قال وأخبر، فكانت هذه الحادثه سببا لزيادة إيمان المؤمنين، وتثبيتاً لهم، وحجة على المكذبين، وإسكاتاً لهم، وللتخفيف من استهزائهم.

3- يتبين للمؤمنين من هذه الحادثة مكانة نبيهم ﷺ العظيمة عند الله وارتفاع شأنه لديه و كرامته عنده، وأنه ﷺ قد بلغ في ذلك المنزلة التي لم يبلغها نبي و لا رسول؛ وذلك أن المؤمنين لكثرة مخالطتهم للنبي ﷺ مع ما هو فيه من الضعف والخوف و ألفقر والتواضع قد يقصرون فيما يستحقه النبي ﷺ من التعظيم والتكريم، وقد لا يعرفون قدره ومنزلته التي جعله الله فيها، فأبان الله تعالى لهم منزلة نبيهم و رفيع درجته.

[2-المعراج إلى السموات :]

و مما حدث في فترة ما قبل الهجرة المعراج برسول الله ﷺ من الأرض إلى السموات السبع كرامة أكرم الله بها نبيه، وأبان بها عظيم منزلته لديه، و قد نزل القرآن الكريم للتنويه بهذه الكرامة العظيمة ، تتلى إلى يوم القيامة، لئلا يغيب ذكرها من صدور المسلمين ، و لتكون كرامة الرسول ﷺ العظيمة و شرفه الرفيع عند الله حيا في صدور المؤمنين، وفي جميع الأزمان .

قال سبحانه:((بسم الله الرحمن الرحيم و النجم إذا هوى ما ضل صاحبكم و ما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ، علمه شديد القوى(جبريل) ، ذو مرة (قوة) فاستوى (أي جبريل) و هو بالأفق الأعلى ثم دنى(أي جبريل) فتدلى(إلى النبي) فكان قاب قوسين أو أدنى (أي فكانت المسافة بينه و بين النبي ﷺ مقدار طول قوسين) فأوحى إلى عبده ما أوحى (أي فأوحى الله تعالى إلى النبي ﷺ على لسان جبريل في ذلك المكان) ما كذب ألفؤاد ما رأى ، و لقد رأه نزلة أخرى (أي رأى النبي جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى) عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر و ما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى)).

فكما سمعت فقد تحدثت هذه الآيات عن رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لجبريل عليه

السلام في صورته الحقيقية عند سدرة المنتهى ، و سدرة المنتهى هي شجرة عظيمة ينقطع عندها علم الملائكة ،و ينتهون إليها، ولا يتجاوزونها، و ينتهي عندها حد السماء السابعة من جهة فوق ، و بقرب هذه الشجرة جنة المأوى، و هي الجنة التي تأوي إليها أرواح عباد الله الصالحين بعد مفارقتها للأجساد، فتستقر فيها في فرح و سرور وابتهاج وحبور، ونعيم هذه الجنة نعيم روحي لا غير، فليس فيها نعيم الأكل و الشرب و النكاح لان ذلك من نعيم الأجساد و مشتهياتها ، و جنة المأوى خاصة بأرواح المؤمنين، أما أجسادهم فقد ماتت، ولا يبعثها الله و يحييها إلا يوم القيامة حيث يجمع الله تعالى الأرواح بأجسادها .

1- مما أوحاه الله تعالى في ذلك المقام الرفيع إلى رسوله الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ما رواه الإمام زيد بن علي بسنده المعروف:((قال لي ربي ليلة أسرى بي من خلّفت على أمتك يا محمد ؟ قال :قلت: أنت أعلم يا رب قال : يا محمد إني انتجبتك برسالتي و اصطفيتك لنفسي فأنت نبيي و خيرتي من خلقي، ثم الصديق الأكبر الطاهر المطهر، الذي خلقته من طينتك، وجعلته وزيرك و أبا سبطيك السيدين الشهيدين الطاهرين المطهرين سيدي شباب أهل الجنة، وزوجته خيرة نساء العالمين، أنت شجرة، وعلي أغصانها، وفاطمة ورقها، والحسن والحسين ثمرتها، خلقتكم من طينة عليين، وخلقت شيعتكم منكم، إنهم لو ضربوا على أعناقهم بالسيوف لم يزدادوا لكم، إلا حباً، قلت : يا رب و من الصديق الأكبر ؟ قال أخوك علي بن أبي طالب عليه السلام : بشرني بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وابناي والحسن والحسن منها، وذلك قبل الهجرة بثلاثة أحوال:

2- مما أوحاه تعالى إلى نبيه الكريم في ذلك المقام الكريم أذان الصلاة، ومن جملته ((حيي على خير العمل)) روى ذلك علماء الزيدية .

3- و أوحى الله تعالى إلى نبيه في ذلك المقام الرفيع ما يريده تعالى من فرض خمس صلوات في اليوم و الليلة.

4- قوله تعالى:((فأوحى إلى عبده ما أوحى)) هذا التعبير يفيد بأسلوبه عند أهل البلاغة و البيان إن ما أوحاه الله تعالى هناك إلى عبده الكريم محمد ﷺ كان شيئا عظيما لا تقوم ببيان فخامته وتوضيح عظمته الألفاظ والعبارات، وقد قدمنا ما صح الحديث به من الوحي في علي و فاطمة و الحسن و الحسين و شيعتهم ، و من الوحي بالأذان فيكون ما أوحاه الله تعالى في ذلك المقام من هذا الجنس .

و لا شك إن فضل علي وفاطمة والحسنين وشأنهم عند الله عظيم حيث جعل الله فيهم خلافة النبوة إلى يوم القيامة، لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم، من تمسك بهم نجا، و من خالفهم ضل وغوى، لا يفارقون الحق إلى يوم القيامة، وأوجب تعالى الصلاة عليهم مع النبي ﷺ في الصلوات، وفرض على الأمة مودتهم ، وأذهب عنهم الر جس و طهرهم تطهيراً، و شدد النبي ﷺ الوصاية فيهم ، و حدّث بفضائلهم المتكاثرة التي طفحت بها كتب الآثار .

ولا شك أيضا أن للأذان للصلوات بألفاظه المعروفة شأناً عظيماً يتبين فيما يلي:

1- أنه نداء إلى إقامة فرائض الصلوات .

2- أنه شعار مميز و علامة خاصة، تميز بها أمصار المسلمين وقراهم عن غيرها، وبذلك يعرف أن أهل تلك المحلات مسلمون.

3- فيه التذكير العام والتنبيه المتكرر خمس مرات في اليوم والليلة على عظمة الله وجلاله و توحيده وتنزيهه من الشريك، و التذكير بالرسول الذي جاء بالهدى و دين الحق و

إظهار فضله و شرفه ، ثم التذكير بأن الصلاة طريق الفلاح و النجاح في الدنيا و الآخرة، وأنها خير الأعمال، وأفضلها على الإطلاق .

و الصلوات الخمس أعظم فرائض الإسلام ((و اعلموا إن خير اعمالكم الصلاة))، وعظم شأنها في الإسلام معلوم ، و القرآن الكريم طافح بذكر الصلاة، وبالأمر بها، وبالمحافظة عليها ، وحديث النبي ﷺ طافح أيضا بذكر الصلاة، والأمر بها، والمحافظة عليها، والترغيب فيها، وقد اشتملت الصلوات الخمس على أحب الذكر إلى الله، وأفضله وأعظمه وابلغه ، واشتملت أيضا على إظهار الغاية من التذلل لله الذي يدل على عبودية العبد لله، واعترافه بعظمة الله، واستسلامه لسلطان الله، وإقراره بحق الله .

و من الجدير أن يتلقى النبي ﷺ في ذلك المقام الرفيع من الوحي المزيد من البيّنات حول عظمة الله و جلاله و قوة سلطانه و علمه و حكمته و توحيده و عدله ، و حول كرامة نبيه ﷺ و شرفه واصطفائه و حول الإسلام و فضله و الدعوة إليه و حول البعث و الحساب و الجنة و النار.

قوله تعالى: ((لقد رأى من آيات ربه الكبرى))، رأى النبي ﷺ في معراجه بعض آيات عظيمة من آيات الله الدالة على عظمة الله و جلاله و كبريائه و قدرته وعلمه و حكمته، وآياته الدالة على ذلك كثيرة في الأرض و في السماء ، فرأى النبي ﷺ في معراجه بعض آيات الله العظيمة التي في السماء، قوله تعالى:((إذ يغشى السدرة ما يغشى)) أبهم الله تعالى علينا ما هو الذي يغشى السدرة، إلا أننا نفهم أنه حصل شيئٌ عظيم من آيات الله غطا السدرة فالذي رآه النبي ﷺ ، و سمعه هنالك هو أنه رأى جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية، و رأى سدرة المنتهى، ورأى الآية العظيمة التي غطت سدرة المنتهى، و سمع كلام الله تعالى من السدرة ؛

[كلام الله تعالى]

والله تعالى لا يتكلم بلسان و شفتين و لا حنجرة و خيشوم، تعالى الله عن مشابهة المخلوق الضعيف ، فكلام الله تعالى هو فعل من أفعاله ، يخلقه متى شاء بغير آلة، فقد يخلقه تعالى في شجرة، كما في كلامه لموسى، فإنه تعالى أسمع موسى (ع) الكلام من شجرة زيتون، و كما كلم نبينا محمداً ﷺ من شجرة السدرة ، و هو تعالى قادر على إيجاد الكلام في السحاب، أو في الهواء، أو في الماء، أو في صخرة، أو في أذن الملك، أو النبي ،أو في غير ذلك .

[روايات أهل السنة حول الموضوع]

لا شك في وقوع حادثة الإسراء و المعراج، وقد نطق بذلك القرآن الكريم كما قدمنا ، و اشتهرت الروايات بذلك عن النبي ﷺ ، إلا أنه يظهر لي أن القصص الطويلة التي رويت في حديث أهل السنة ليست صحيحة بتمامها و كمالها ، بل إن تلك القصص الطوال قد اشتملت على الصحيح و غير الصحيح ،،

مما اشتملت عليه تلك القصص الطويلة أن الله تعالى فرض على امة محمد ﷺ خمسين صلاة في اليوم و الليلة، فنزل النبي ﷺ حتى أتى موسى، فقال له موسى: إن أمتك لا تستطيع خمسين صلاة، و إني قد خبرت الناس قبلك، وعالجت بني إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك، فاسأله التخفيف لأمتك، فرجع النبي ﷺ إلى الله، فوضع عنه عشراً، و هكذا ينزل النبي إلى موسى، فيأمره موسى بالرجوع، فيخفف الله عن أمته عشراً حتى إذا لم يبق الا عشر صلوات رجع النبي ﷺ يسأل التخفيف، فخفف الله عن أمته خمس صلوات ، و لم يبق الا خمس صلوات، و أمره موسى بالرجوع، فلم يرض النبي

ﷺ ، و قال: استحييت من ربي إلى أخر القصة)) فهذه المراجعة يظهر أنها غير صحيحة، لأن الله تعالى عليم حكيم لا يفرض على عباده الفرائض مجازفة، فإذا سأله بعض عباده تراجع ثم يسال، فيتراجع، ثم كذلك ؛

فهل اكتشف موسى(ع) ما خفي على الله تعالى؟ و هل تنبيه الله تعالى حين نبهه النبي ﷺ بإشارة من موسى؟

و على الجملة فإن التشريع لخمسين فريضة، ثم المراجعة المتكررة، حتى لم يبقى إلا خمس فرائض فيها ما يوهم أنه فرض خمسين صلاة مجازفة من غير نظر إلى ضعف المكلفين و اقتدارهم على القيام بها في اليوم و الليلة، و إن الله تعالى لم يتنبه لذلك، و لا رسوله محمد ﷺ فإنه لم يتنبه لذلك ، وموسى عليه السلام هو الذي تنبه لذلك .

[الهجرة إلى المدينة كما جاءت في القرآن]

هاجر النبي ﷺ والمسلمون من مكة إلى المدينة بعد ثلاث عشرة سنة من حين بعثه الله تعالى نبياً فجعل الله سبحانه وتعالى في الهجرة خيراً كثيراً، فتغيرت أحوالهم من الخوف إلى الأمن، ومن الذلة إلى العزة، وصار لهم كيان ودولة، وتمكنوا من إعلان دينهم وإظهاره،ومن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الدعوة إلى الله، ونشر دين الله ، وقد ذكر الله تعالى هذه المنة العظيمة، وأوصى المسلمين بذكرها وشكر موليها، فقال سبحانه : (واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون في الأرض تخافون أن يتخطفكم الناس فآواكم وأيدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون).

قوله تعالى: (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)

اتفقت المصادر عند السنة والشيعة أن قريشاً تشاورت بمكة في آخر الأمر حين أعيتهم الحيل في رد الدين الجديد الذي جاء به محمد ﷺ ، فقال بعضهم لبعض اثبتوه بالقيد، واحبسوه ، وقال بعضهم : بل اقتلوه ، وقال بعضهم : بل اخرجوه من مكة، فأطلع الله تعالى نبيه ﷺ على ذلك ، وأمره الله تعالى على لسان جبريل أن لا يبيت في مضجعه الذي كان يبيت فيه ، ولم يبت رسول الله ﷺ تلك الليلة في بيته وأمر علياً عليه السلام أن يبيت في مضجعه، فبات في مضجعه ، وبات المشركون يحرسون علياً يحسبونه النبي ﷺ ، فلما اصبحوا ثاروا إليه، فلما رأوا علياً قالوا : أين صاحبك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثره ، فلما بلغوا الجبل اختلط عليهم، فصعدوا في الجبل، فمروا بالغار،فأعمى الله أبصارهم، وتماماً كما قال سبحانه وتعالى: (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما بالغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة هي العليا والله عزيز حكيم)

فخيب الله تعالى أمل مشركي قريش ، وضيع سعيهم الجاد في الفتك بنبيه ﷺ فكانت قدرة الله سبحانه وتعالى فوق طاقتهم وإرادته مهيمنة على مكرهم، فنجا الله تعالى نبيه من مكرهم، وأخرجه من بينهم، وحفظه من شرهم ، وقد ملأ الله تعالى قلب نبيه ﷺ في تلك الحال سكينة وأمناً وطمأنينة ، فكان ﷺ في حال خروجه وحال اختفائه من مكر قريش في هدوء بال وانشراح صدر، لم يزعجه مكرهم، ولم يقلقه طلبهم ، ولم يدخل قلبه خوف ولا فزع رحمة من الله لنبيه، وفضلاً أكرم به رسوله ﷺ ، ولما خف طلب قريش للنبي ﷺ ، وذلك بعد ثلاث ليال من دخوله الغار، جاء أبو بكر براحلتين: إحداهما للنبي ﷺ ، والأخرى لأبي بكر، فلم يقبلها النبي ﷺ من أبي بكر إلا بالأجرة ، واستأجرا دليلاً يدلهما على طريق بعيدة عن عيون قريش .

وصاحب الرسول ﷺ في الغار هو أبو بكر بن أبي قحافة ، لا خلاف في ذلك، وبعض أهل السنة يستدلون بالآية على زيادة فضل أبي بكر على غيره من الصحابة ، والذي تفيده هذه الآية لا يزيد على إثبات اسم الصحبة للنبي ﷺ ، والصحبة المجردة ليست فضيلة، والآية إنما أثبتت لأبي بكر مجرد اسم الصحبة ، وفي الحقيقة والواقع أن الصحبة للنبي ﷺ لا تكون فضيلة إلا إذا انضم إليها الإيمان والعمل الصالح والسمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ ، لذلك نرى الله سبحانه وتعالى يحث في كتابه مسلمي الصحابة وغيرهم على الإيمان والعمل الصالح والتقوى ، و أوامر القرآن ونواهيه إنما هي متوجهة إلى ما ذكرنا ، ولم نر الله عز وجل أمر بالصحبة، وحث عليها، وإنما أوامره إلى طاعة الرسول ﷺ والاستجابة له ، ونحن معاشر الزيدية لا ننكر فضل أبي بكر، ولكننا ننكر غلو أهل السنة في فضله، حيث جعلوه أفضل الصحابة بعد النبي ﷺ على الإطلاق، وجعلوا له حصانة حصينة لا يجوز تجاوزها، وحرموا توجيه أي نقد إليه أو تساؤل، وحرموا اتهامه بخطأ، بل قالوا: إن من يفضل علياً عليه ارتكب ذنباً موازياً للشرك، فترد شهادته وروايته، ولا تنفعه شهادة أن لا إله إلا الله، ولا حظ له في مغفرة ولا شفاعة، وإلى آخر أحكام الشرك، وكما ذكرنا فإننا لا ننكر أن له فضل الإسلام والهجرة، فهو واحد من جملة السابقين الأولين المهاجرين .

[فضيلة لعلي عليه السلام]

اتفقت المصادر عند الشيعة والسنة أن النبي ﷺ أمر علياً أن يبيت على فراشه في الليلة التي اجتمعت قريش فيها على ألفتك بالنبي ﷺ ، وأمر جبريل النبي ﷺ أن لا يبيت تلك الليلة على فراشه، فبات علي على فراش النبي ﷺ لأمر النبي ﷺ ، هكذا جاءت الروايات بلا خلاف ولا نزاع، وفي ذلك فضيلة كبيرة لعلي، حيث رضي أن يبيت على فراش الرسول ﷺ بلا تردد ، وحول البيت أربعون من فتيان قريش،

يتحينون الوقت المناسب لضرب صاحب ألفراش بسيوفهم واختطاف روحه بخنقهم، فرضي أن يفدي نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه، وأن يقي مهجة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بمهجته ، مرتاحاً بذلك لم تذكر الروايات أنه جزع، ولا خاف، ولا وجل .

خرج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من مكة من غار ثور متوجهاً إلى المدينة يوم الاثنين أول يوم من ربيع الأول، ودخل المدينة يوم الجمعة الثامن عشر من ربيع الأول، ونزل قباء، وأقام بها أربعة أيام ،وأسس فيها أول مسجد بني في الإسلام .

ثم دخل المدينة المنورة ، ونزل دار أبي أيوب الأنصاري ، وأقام عنده حتى بنى صلى الله عليه وآله وسلم مسجده وحجره وانتقل إليها .

[من الهجرة]

أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليا يوم الهجرة أن يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الودائع التي كانت عنده للناس ، فقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مكة محلا للثقة و الأمانة و الوفاء و الصدق لذلك كان عنده ودائع كثيرة يوم هاجر .

[آيات بينات حصلت في الهجرة]

1- أعمى الله أبصار المشركين الذين أرصدتهم قريش لقتل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في ليلة الهجرة، فخرج من بينهم يراهم، ولا يرونه.

2- أعمى الله أيضا المشركين المطاردين للنبي ﷺ ليقتلوه، وذلك أنهم وقفوا على غار ثور الذي اختفى فيه الرسول ﷺ و أبو بكر، فقال أبو بكر للنبي ﷺ :لو نظر أحدهم عند قدمه لرءآنا، فقال النبي ﷺ : ((ما ظنك باثنين ثالهما الله)).

3- نسجت العنكبوت على باب الغار، و باض في مدخله بعض الطيور بعد ما دخل فيه النبي ﷺ و صاحبه مما تسبب في اقتناع المشركين بخلوِّ الغار.

4- ساخت قدما فرس بعض المطاردين للنبي في طريق المدينة، وهو سراقة بن مالك، فكف عن المطاردة.

[ألفترة من حين مبعثه إلى حين هجرته ﷺ]

جاء جبريل عليه السلام بالرسالة و النبوة إلى محمد ﷺ حين بلغ النبي ﷺ أشده، و ذلك في سن الأربعين ، و هكذا جرت سنة الله تعالى في الأنبياء قال سبحانه في موسى عليه السلام : ((ولما بلغ أشده و و استوى اتيناه حكماً و علما))، و كانت ألفترة من حين مبعثه إلى حين هجرته ثلاث عشرة سنة، وأول ما أتاه الوحي و هو في جبل حراء ، فعلمه آيات من القران ، و كان ذلك في يوم الاثنين ، فعاد النبي ﷺ من جبل حراء إلى بيت خديجة في مكة، فحدثها بما اكرمه الله تعالى من النبوة، و قرء عليها الآيات التي نزل بها جبريل عليه السلام، فأسلمت في نفس اليوم و في اليوم الثاني أسلم علي بن ابي طالب وقد حاول أهل السنة كعادتهم في طمس فضائل علي عليه السلام أن يطمسوا هذه الفضيلة التي هي السبق إلى الإسلام فقال بعضهم: أول من أسلم من الرجال أبو بكر ، ولما روى البعض من أهل السنة أن هذا القول غير مقبول ،اخترع قولاً أقرب إلى القبول فقال : أول من أسلم من الرجال أبو بكر، وأول من أسلم من الصبيان علي بن أبي طالب وأرادوا بذلك أن يثبتوا لأبي بكر فضيلة السبق على أي حال.

ونقول : إن علياً هو أول من أسلم على الإطلاق، ولم يكن صبياً حين أسلم بل كان اسلامه بعدما بلغ سن التكليف، ولو كان صبياً حين أسلم لما اعتد النبي ﷺ بإسلامه، ولما قبل منه ذلك ، لأن الله تعالى رفع التكليف عن الصبيان والمجانين ، وقد أجمع أهل البيت وعلماء الشيعة بما فيهم الزيدة على أن علياً هو أول من أسلم على الإطلاق ، ورووا في ذلك روايات صحيحة عن النبي ﷺ وعن علي وغيره، بالإضافة إلى ما رواه الكثير من محدثي أهل السنة والجماعة ،،

وبعد فأهل السنة والجماعة متهمون في مثل ذلك لما عرفوا من عداوتهم لعلي ولأهل البيت حتى جعلوا حب علي ذنباً وجريمة لا تغفر، ثم لما عرف من غلوهم في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية حتى بلغوا بهم المنزلة التي لا تنبغي إلا لرب العالمين حيث حرموا النقد عليهم وتوجيه التساؤلات إليهم ، وقد أخبر تعالى أن هذه الصفة إلا له جل وعلى ،

فقال سبحانه: ((لا يسأل عما يفعل وهم يسألون))

[غزوة الخندق و تسمى غزوة الأحزاب]

حدثت هذه الغزوة في شوال سنة خمس من الهجرة، وسببها أن جماعة من يهود بني النظير الذين أجلاهم رسول الله ﷺ إلى خيبر ذهبوا إلى قريش في مكة، و ألبوهم على حرب النبي ﷺ ، ووعدوهم النصر و الإعانة، فأجابوهم إلى ذلك، ثم ذهب اليهود إلى غطفان، فدعوهم، فاستجابوا لهم، وخرج أبو الطفيل في هوازن، فخرجت قريش ومن تبعها و على رأسهم أبو سفيان صخر بن حرب، وخرجت غطفان و على رأسها عيينة بن حصن بن بدر ،و كان الجميع عشرة آلاف رجل ، فلما سمع النبي ﷺ بخروجهم أمر بحفر الخندق بإشارة من سلمان الفارسي رضي الله عنه ، فحفره المسلمون، واجتهدوا، و كان النبي ﷺ يحفر

معهم، وينقل التراب، وقد ذكر الله تعالى العاملين المخلصين في حفر الخندق فقال سبحانه و تعالى: ((إنما المؤمنون الذين امنوا بالله و رسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يسأذنونه إن الذين يستأذنونك اؤلئك الذين يؤمنون بالله و رسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم و استغفر لهم الله إن الله غفور رحيم))، و ذكر سبحانه المنافقين الذين كانوا يتسللون هربا من العمل في الخندق، و قال سبحانه : ((لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لوذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب اليم ألا إن لله ما في السموات و الأرض قد يعلم ما أنتم عليه و يوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شئ عليم)).

و قد ذكر الله تعالى هذه الغزوة، وذكّر المؤمنين بعظيم نعمته عليهم فيها، فقال سبحانه :

((يا أيها الذين أمنوا إذكروا نعمة الله عليكم إذ جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا و جنودا لم تروها و كان الله بما تعملون بصيرا))، و كانت ريح باردة في ليلة شاتية فأضعفتهم ببردها و سفت التراب في و جوههم، وقلعت الخيام، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، فانهزموا من غير قتال .

قوله تعالى: ((وكان الله بما تعملون بصيرا))المعنى أن الله أعطاهم النصر في هذه الغزوة لعلمه تعالى بأنهم انقطعوا إليه، والتجئوا إليه، ولم يرجوا سواه.

ثم ذكر الله تعالى وبين كثرة المشركين وإحطاتهم بالمسلمين، وما أصاب المسلمين عند ذاك من الهول و الخوف والفزع، فقال سبحانه : ((إذ جاؤوكم من فوقكم)) أي من قبل المشرق قال في البرهان للإمام الديلمي عليه السلام:

جاء منه - الشرق- عوف بن مالك من بني النضير، وعيينة بن حصين في أهل نجد ،وطليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد ، و أبو الاعور السلمي و معه حيي بن أخطب من يهود بني قريظة مع عامر بن الطفيل. ا هـ.

((و من أسفل منكم)) أي من جهة الغرب، وهم قريش و من معها، و قالوا: سنكون حملة واحدةً حتى نستأصل محمداً .

((و إذ زاغت الأبصار ، و بلغت القلوب الحناجر)) بين الله تعالى بهذه العبارة شدة هول المسلمين و مدى خوفهم و فزعهم في ذلك المقام، و قد كان المسلمون ثلاثة آلاف، وأستمر الحصار على الخندق قريبا من شهر، ولم يحصل قتال إلا الترامي بالنبال إلا ما كان من قتل عمرو بن ود، قتله علي بن أبي طالب، وقتل رجلان، أحدهما بسهم، والآخر رضخ بالحجارة بعد سقوطه في الخندق .

و قوله تعالى: ((و تظنون بالله الظنونا)) المعنى و الله أعلم أن المسلمين لشدة الهول والفزع حدثت فيهم ظنون، فالمنافقون وضعاف الإيمان ظنوا أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه سيستأصلون، وظن أهل الرسوخ في الإيمان أن وعد الله حق، وأن الله سيظهر دينه على الدين كله و لو كره المشركون .

ثم أخبر تعالى عن تفصيل ظن المنافقين و توضيحه، فقال سبحانه وتعالى: ((و إذ يقول المنافقون و الذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله و رسوله إلا غرورا)) .

قال في المصابيح نقلا عن البرهان :

روينا عن آبائنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يحفر الخندق لحرب الأحزاب، فبينما هو يضرب فيه بمعوله إذ وقع المعول على صفا فطارت منه كهيئة الشهاب من نار في السماء – أي

الهواء – فضرب الثانية فخرج مثل ذلك، فضرب الثالثة فخرج مثل ذلك، فرأى ذلك سلمان، فقال له النبي ﷺ : ((أرأيت ما خرج من كل ضربة ضربتها قال نعم يا رسول الله، فقال ﷺ : يفتح الله لكم بيض المدائن، وقصور الشام ، ومدائن اليمن ، قال : ففشى ذلك في أصحاب رسول الله، وتحدثوا به، فقال بعض المنافقين: أيعدنا محمد أن يفتح لنا مدائن اليمن و بيض المدائن و قصور الشام، وأحدنا لا يستطيع أن يقضي حاجته إلا قتل، هذا والله الغرور، فأنزل الله هذه الآية أ.هـ

قوله تعالى: ((هنالك أبتليَّ المؤمنين و زلزلوا زلزالا شديدا)) المعنى و الله أعلم: أنه تميز في هذا اليوم الشديد الهائل المخلص من المنافق، و الثابت من المزلزل، وقوي الإيمان من ضعيف الإيمان.

ثم قال تعالى: ((و إذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا، ويستأذن

فريقا منهم النبي يقولون أن بيوتنا عورة و ما هي بعورة أن يريدون إلا فراراً...))

المعنى أن بعض المنافقين قيل هو عبدا لله بن أبي و أصحابه قالوا لأهل يثرب – أي أهل المدينة - : يا أهل يثرب لا ينبغي لكم المقام هاهنا عند النبي ﷺ فلا ترابطوا فيه ، لأنه مقام هلاك محقق ، و المرابط فيه مقتول بلا شك، فارجعوا إلى منازلكم و بيوتكم .

قوله تعالى: ((و يستأذن فريق منهم النبي يقولون إن بيوتنا عورة و ما هي بعورة إن يريدون إلا فرارا ، و لو دخلت عليهم من أقطارها ثم سألوا ألفتنة لأتوها و ما تلبثوا بها إلا يسيرا و لقد كانوا عاهدوا الله من قبل لا يولون الأدبار و كان عهد الله مسؤولا)) .

المعنى أن فريقاً من المنافقين لما سمعوا نصيحة عبد الله بن أبي و أصحابه استأذنوا النبي ﷺ في الرجوع إلى بيوتهم و منازلهم، متعللين بأن بيوتهم معرضة للعدو، ليس دونها ما

يحجبها منه، فهم يخشون عليها منهم، والواقع أن بيوتهم ليست كما يقولون ، بل مرادهم و غرضهم ليس إلا فرارا .

ثم أخبر سبحانه بأن هؤلآء الأحزاب لو دخلوا المدينة من جوانبها، ثم طلبوا من المنافقين الفارين إلى بيوتهم أن يرتدوا عن الإسلام ويكفروا بالدين لكفروا و ارتدوا ...،

ثم أخبر سبحانه بأن فرار المنافقين إلى بيوتهم و منازلهم غير نافعة لهم فلن يلبثوا بها إلا يسيراً، ثم يأتيهم الموت الذي فروا منه بزعمهم .

ثم أخبر الله تعالى عن خستهم و دناءتهم حيث نقضوا عهد الله الذي عاهدوا الله على الوفاء به، فنقضوه و خانوا الله ورسوله ﷺ .

ثم قال لهم سبحانه: ((قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون

إلا قليلا قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوء أو أرادبكم رحمة ولا يجدون لهم من دون الله وليا و لا نصيرا)) يخاطبهم الله تعالى بأن فراركم لا يدفع عنكم ما تحذرون من القتل أو الموت ، وإن نفعكم وسلمتم منه وقتاً فمتاع الدنيا قليل لا يستحق أن تؤثروه على الخير الكثير الباقي الذي لا ينفد ولا ينقطع ، و افرضوا أنكم بفراركم قد دفعتم عن أنفسكم الهلاك و حصنتموها من القتل ، فليس هناك من يدفع عنكم غضب ربكم إذا أراد أن يحل بكم بأسه و يذيقكم مرارة نقمته بما فعلتم من الفرار عن رسوله ﷺ ومن النقض للعهد ، فالله سبحانه و تعالى وحده هو القادر على إعطاء الرحمة و فعل النقمة، ولا أحد يقدر أن يحول بين الله و بين فعل الرحمة أو فعل النقمة .

ثم أخبر تعالى عن المنافقين فقال جل شأنه: ((قد يعلم الله المعوقين منكم و القائلين لإخوانهم هلم إلينا و لا يأتون البأس إلا قليلا...))

قد علم الله سبحانه المنافقين الذين يثبطون أصحاب النبي ﷺ عن القتال و يدعونهم إلى ترك الجهاد و المرابطة .

وعلم المنافقين الذين يدعون إخوانهم إلى ترك المرابطة مع النبي ﷺ ، ويطلبون منهم الإقبال إليهم ثم ذكرهم الله سبحانه و تعالى ووصوفهم بالجبن الشديد الذي يمنعهم من حضور ساحات القتال، وذمهم أيضا بصفة البخل الشديد ، و صور تعالى في القرآن جبنهم بصورة تكاد أن تكون محسوسة، فقال سبحانه : ((فإذا جاء الخوف رايتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت)) ثم صور تعالى كيف تكون حالهم وصفتهم في وقت الأمن فقال سبحانه : ((فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا ...)) المعنى أن المنافقين كانوا إذا انتهت المعركة مع المشركين، وحصل الأمن، و ذهب الخوف فإن المنافقين حينئذ يتجرؤون على الكلام، ويبالغون في ذم المؤمنين، وادعوا لأنفسهم الشجاعة و النجدة كذبا ، وأظهروا البخل الشديد عند قسمة الغنائم، وزيادة الحرص، والجشع والرغبة منها، و يغضبون، و تنكسر أنفسهم ألماً، إذا أعطاكم الرسول ﷺ نصيبكم من الغنائم، يبخلون بها عليكم، ويرون أنهم أحق بها، ويذمونكم على ما أعطاكم ، ويكثرون الكلام في ذلك .

ثم قال تعالى فيهم: ((يحسبون الأحزاب لم يذهبوا و إن يأتي الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسالون عن أنباكم و لو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلا)) المعنى أن المنافقين لشدة خوفهم وفزعهم يحسبون أن الأحزاب التي غزت المدينة ما زالت حولهم، وأنهم لم يذهبوا، وفي الواقع أنهم قد ذهبوا، وأنهم يودون ويتمنون إذا رجعت الأحزاب إلى المدينة للحرب أن يكونوا بعيدين عن المدينة، وفي مأمن، لا يسمعون فيه، ولا يرون ما يجري من الحرب مع

الأحزاب، فيسألون كغيرهم من أهل البوادي عن ما يجري في المدينة من القتل و القتال و النصر و الهزيمة .

ثم أخبر الله تعالى المسلمين بأن هؤلاء المنافقين الفارين لا ينفعكم حضورهم و مرابطتهم معكم لشدة جبنهم و فزعهم وجزعهم، لذلك لا يتوقع منهم القتال و مقارعة الرجال؛

[حال المؤمنين الصادقين في غزوة الأحزاب]

بين الله تعالى حال المؤمنين الصادقين في إيمانهم في غزوة الأحزاب بعد ما فصل حال المنافقين، فقال سبحانه و تعالى: ((و لما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله و رسوله و صدق الله و رسوله و ما زادهم إلا إيمانا و تسليما)) لم يشك المؤمنون الصادقون حين رأوا جيوش الأحزاب الكثيرة كما شك المنافقون، بل آمنوا، وصدقوا، واعتقدوا في قرارة أنفسهم أن ما وعدهم الله و رسوله ﷺ من النصر و العلو و الغلبة وعد حق ، وأن جموع الأحزاب ستهزم وتغلب ، و أن النبي ﷺ و المؤمنين- وإن قلوا- هم المنتصرون، وإن لم يكن النصر إلا بعد الابتلاء، فقالوا ثقة بذلك: هذا ما وعدنا الله و رسوله ، و صدق الله ورسوله، ولم تزدهم رؤية جموع الأحزاب إلا ثقة بما وعد الله تعالى، وتسليماً لأمر الله و قضائه بما قضاه من الابتلاء و الاختبار.

ثم قال سبحانه و تعالى: ((من المؤمنين رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا))

وصف الله المؤمنين الثابتين بأنهم أوفوا بما عاهدوا الله عليه من السمع و الطاعة للرسول ﷺ و الحرب لمن حارب و السلم لمن سالم، و أن يحموه و يمنعوه من المشركين و من كل من أراد به سوءاً، فحموه ودافعوا عنه، وضربوا بسيوفهم وجوه أعداء النبي ﷺ ،

وناضلوا عنه، و تفانوا في ذلك، و بلغوا الغاية و النهاية في الثبات مع نبيهم ﷺ في كل موطن، فمنهم من قتل شهيداً، و منهم من سلم فهو ينتظر الشهادة في مضيه قدما قدما في نصرة النبي ﷺ ، و ما بدلوا العهد ولا غيروه، ولا نقضوه، لا من قتل ولا من انتظر.

ثم أخبرنا تعالى عن وعده بالجزاء للمؤمنين و المنافقين، فقال سبحانه : ((ليجزي الله الصادقين بصدقهم و يعذب المنافقين إن شاء)) أي إذا أصروا على نفاقهم و لم يتوبوا ((أو يتوب عليهم)) أي إذا تأبوا ((إن الله كان غفورا رحيما))

ثم قال سبحانه : ((و رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا و كفى الله المؤمنين القتال و كان الله قويا عزيزا)) المعنى أن الله تعالى رد جموع المشركين الهائلة في هذه الغزوة المرعبة على النبي ﷺ و المسلمين، وأرجعهم من حيث أتوا، لم يشفوا غيظهم، ولم ينالوا من النبي ﷺ و المسلمين أي منال، بل رجعوا، وهزموا خائبين مغتاظين ، وكفى الله المؤمنين القتال بالملائكة، و بالريح الباردة، وبقتل عمرو بن ود العامري، و كان فارس تلك الأحزاب، وعمادهم، و كان يعد لألف، قتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

و كان عمرو بن ود قد قفز بفرسه من فوق الخندق، و دخل إلى النبي ﷺ والمسلمين، ووقف بفرسه بينهم، و لم يدخل إلى المسلمين غيره إلا رجل من قريش قفز فوق الخندق فلم يبلغ الجهة الأخرى فسقط في الخندق فقتله المسلمون بالحجارة.

أما عمرو بن ود فدخل إلى صف المسلمين، ودعاهم إلى البراز فلم يجبه أحد لعلمهم بشجاعته و قوة بدنه ، و كرر عمرو الدعا إلى البراز فلم يجبه أحد، بل سكتوا و كأنما على رؤسهم الطير، و قد كان علي عليه السلام يتهيأ للقيام إلى براز عمرو، وفي كل مرة، غير أن النبي ﷺ كان يسكته، ويمنعه في كل مرة رجاءً أن يقوم غيره، أو من أجل أن يتبين فضل

علي عليه السلام على سائر الصحابة، فلما تبين للنبي ﷺ ، وظهر عجزهم، وخوفهم من الإقدام إلى مبارزة عمرو ظهورا لا تحوم حوله الشكوك أذن لعلي في البراز لعمرو، فلما برز علي عليه السلام قال النبي : ((برز الإيمان كله للشرك كله))، وكان علي عليه السلام راجلاً، و عمرو بن ود على فرس، فنزل عن فرسه، وبعد حوار بينهما دعاه علي عليه السلام فيه إلى الإسلام فأبى عمرو بن ود، فقال علي فأنا أدعوك إلى المبارزة، فقال عمرو : ما ظننت أن أحداً من العرب يطلبها مني ..... و إلى أخر المحاورة ، ثم تجاولا، وتصارعا حتى غيبهما الغبار، فسمع المسلمون بعد ساعة التكبير، فعرفوا أن عليا قد قتل عمرواً فكبروا و حمدوا الله تعالى فانهار لقتله عزم المشركين، ووهت عزائمهم مع ما هم فيه من الريح الباردة التي سفت وجوههم، وأعمت عيونهم، وقلعت خيامهم،

وأطفأت نيرانهم، وأكفأت قدورهم.

[مكاتبات النبي ﷺ إلى الملوك]

لما استتم النبي ﷺ بناء دولة القرآن في المدينة وما حولها من بلاد العرب بعث النبي ﷺ الرسل والكتب وإلى ملك الفرس وملك الروم وملك الحبشة و...الخ

أما ملك الفرس فأنف من كتاب النبي ﷺ إليه وطلبه من الدخول في الأيام ومزق الرسالة وطرد حاملها ، وأرسل إلى نائبه في اليمن (باذان) أن يأتيه بمحمد ﷺ مربوطاً ، فلما وصلت الرسالة إلى صاحب اليمن بعث إلى المدينة مبعوثين ليتعرفوا خبر محمد ﷺ ، فلما وصل المبعوثون إلى المدينة ورأوا رسول الله ﷺ واستفسروه قال لهم الرسول ﷺ إن ربي اخبرني الليلة أنه قد قتل ربكم في هذه الليلة ، فرجع المبعوثون من المدينة إلى اليمن وأخبروا والي اليمن بما قال لهم الرسول ﷺ من قتل ملكهم في فارس وليلة

كذا،ثم بعد شهر أو أكثر وصل رسول كسرى الجديد يخبرهم بموت الملك في الليلة الفلانية ، فدخل الإيمان في قلب والي اليمن فأسلم .

وأما ملك الروم فقبل الرسالة وتأملها وسأل الرسول عن النبي ﷺ فعرف أنه النبي ﷺ الذي بشر به موسى وعيسى عليهما السلام ففكر في الإسلام فدعا بطارقته ورهبانه وجمعهم في مكان فكلمهم من مكان عالٍ بأن الله تعالى قد بعث النبي الذي بشر به موسى وعيسى عليهم السلام وأنه من استخبر الرسول عنه فكان في صفاته كما أخبر به موسى وعيسى عليهم السلام فاشتطوا غضباً ونخروا نخرة وحاصوا فعرف الملك أنهم لا يرضون بالإسلام فقال لهم : اهدؤا إنما صنعت ذلك بكم لأختبر ثباتكم على دينكم فالحمد لله على ما رأيت من ثباتكم وصلابتكم .

وأما ملك الحبشة فأسلم وأسر أسلامه وكانت الحبشة نصارى، وأراد ملك الحبشة إدخال رعيته من النصارى في الإسلام فدعاهم وعرض عليهم الإسلام وقال: إن محمداً ﷺ هذا النبي الذي بشر به موسى وعيسى عليهما السلام، وعلى الجملة فإنه صنع كما صنع ملك الروم .

وكتب ﷺ إلى ملك مصر وأكرم رسول رسول الله ﷺ ولم يظهر منه ميول إلى الإسلام ، وأرسل إلى النبي ﷺ مع الرسول بجاريتين هدية إحداهما مارية القبطية ، فهؤلاء هم عيون الملوك الذي كتب ﷺ إليهم وكتب إلى ملوك آخرين .

وكانت هذه الكتب والرسائل منه ﷺ قبل فتح مكة وكما ذكرنا فإن ملك الروم مال بقلبه إلى الإسلام، فأراد المزيد من أخبار النبي ﷺ ، وكانت قريش تسافر إلى الشام للتجارة ، فبعث الملك في طلب رجال من قريش ليستخبرهم عن محمد ﷺ فجائت

الرسل بجماعة من قريش فيهم أبو سفيان إلى الملك ، فقال لهم الملك ليتقدم بالجواب أقربهم إلى محمد ﷺ فتقدم أبو سفيان ووقف أصحابه خلفه ، فسأله هرقل عن شرف محمد ﷺ ونسبه وعن أبويه هل هما حيان أم ميتان ؟ وإلى من يدعوا ؟ ومن يتبعه ؟ وهل ادعا أحد من آبائه مثل ما ادعا و...الخ ، ولم يجسر أبو سفيان أن يكذب في جوابه على الملك فأجاب بالصدق في جميع جواباته فلما تم السؤال والجواب قال الملك : والله لإن صدقني الرجل ليأخذن ما تحت قدمي ، فقال أبو سفيان: فقد أمرّ أمر ابن أبي كبشة حتى أصبح يخافه ملك بني الأصفر .

[كتَّاب النبي ﷺ]

كان للنبي ﷺ كتاب يكتبون له الرسائل لأنه ﷺ لم يكن يكتب وكاتبه الرأيسي هو علي بن أبي طالب ، فقد كان يكتب العهود والرسائل والوحي لأنه لم يكن يفارق النبي ﷺ إلا إذا بعثه النبي ﷺ لمهمة ، وقد اتخذ النبي ﷺ خاتماً يختم به الكتب والرسائل مكتوب فيه (محمد رسول الله) ، ولم يتخذ النبي ﷺ الخاتم إلا حين كتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، ولم يكن له خاتم من قبل ذلك ، وله ﷺ كتاب آخرون منهم عثمان بن عفان ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وعبد الله بن عبد الله بن أبي، وقد كتب للنبي ﷺ غيرهم ، وقد ذكر بعضهم أن كتاب النبي ﷺ كانوا أكثر من تسعة وثلاثون كاتباً منهم أبو بكر وعمر ....

[علم الكتابة]

كان علم الكتابة في قريش وفي قبائل العرب قليل لذلك يقال لهم الأميون ومن ذلك قوله تعالى : ((ليس علينا في الأميين سبيل)) وروي عن النبي ﷺ أنه قال: (نحن أمة أمية لا نقرأ ولا نحسب ...الخ)، وكانوا لذلك يعتمدون في حفظ العلوم على الحفظ في الصدور ، فكانت صدورهم هي صحائف العلوم ولهذا السبب أنزل الله تعالى القرآن مفرقاً في عشرين سنة ((لنثبت به فؤادك)) أي ليحفظه النبي ﷺ والمسلمون ، ولو أنزله الله تعالى دفعة واحدة لتعسر على النبي ﷺ وعلى المسلمين حفظه .

ولم تكن العرب تعتمد على الكتابة ولا تلتفت إليها لاستغنائها عنها بالحفظ، لذلك لم تكن الكتابة عندهم شرطاً في كمال الرجل ولا يعد عدم الكتابة نقصاً فيه .

وقد كان النبي ﷺ وهو اكمل البشر لا يكتب ولا يقرؤ الكتب، ولم يكن ذلك نقصاً من كماله ﷺ ، لأنه كان مستغنياً عن الكتابة والقرآءة فعلوم الإسلام والقرآن وما أطلعه الله تعالى عليه من علم الغيب وغيره كل ذلك مكتوب في صدره ومحفوظ في فؤاده ، وقد كان في أصحابه ﷺ من الكتاب ما يكفي لكتابة رسائله إلى الآفاق ،وقد تلقى الصحابة القرآن والسنة والشرائع والأحكام وما يتبع ذلك من العلوم من فم النبي ﷺ ، وحفظوه في صدورهم وإن كانوا درجات متفاوتات في العلم ، وبعضهم أعلم من بعض ، وبعضهم أكثر قرآناً من بعض .

وقد أثبتت المصادر أن علي بن أبي طالب كان الرجل الثاني بعد النبي ﷺ في حفظ العلم ، وقد نوه النبي ﷺ بعلم علي بن أبي طالب فقال ﷺ : (أنا مدينة العلم وعلي بابها فمن أراد العلم فليأت الباب) ، وجاء في أحاديث عنه ﷺ أنه أكثرهم علماً

وأفقههم في دين الله ، وأقضاهم و...الخ، غير أن الظروف السياسية التي تعقبت موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم جهدت غاية الجهد وسعت غاية السعي إلى طمس فضائل علي وتصغير شأنه وإلصاق التهم والمعائب بشخصيته ، وما زالت السياسة في تلك الظروف جاهدة لتحطيم شخصية علي حتى صار بغض علي وكراهته ثقافة عامة داخلة ضمن الثقافة الإسلامية ، بل صار بغضه أخيراً من أساسيات الإسلام وقواعده ، وما زلنا إلى اليوم نعاني من آثار تلك الظروف السياسية ، فما زال السواد الأعظم من المسلمين إلى اليوم يرون أن حب علي بن أبي طالب جريمة وذنب ، لا تقبل لمحبي علي شهادة ولا تقبل منهم رواية .

وقد أرادت السياسة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما تعقبها على اتخاذ إصلاحات في دين الإسلام منها : التشطيب على أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ، ونسف مركزهم الذي بناه لهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الإسلام ، وأرادت تلك السياسة أن يكون دين الإسلام خالياً عن ذكر علي وأهل البيت ، وأن يكون بعيداً عنهم ، وأن يصبح الإسلام في جانب وعلي وأهل البيت في جانب ، ومع مرور الزمن نجحت هذه السياسة نجاحاً تاماً وذلك في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان ، فإنه أصبح الإسلام في عهده خالياً وصافياً من علي وأهل البيت ، وأصبح علي وأهل البيت في جانب والإسلام في جانب ولا يكون المسلم مسلماً حقاً إلا بشرط أن يتبرأ من دين علي وأصبح لعن علي من السنن اللازمة على كل مسلم ، وهكذا أصبح الدين الرسمي للإسلام في جميع بلدان الإسلام من طنجة غرباً إلى حدود الصين شرقاً.

[السيرة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة و السلام]

اشتمل القرآن الكريم على ذكر سيرة نبينا محمد ﷺ منذ بعثته إلى وفاته ﷺ و ما لقي من العناء و النصب و العراقيل في تبليغ رسالته من المشركين و المنافقين، كل ذلك مذكور في القرآن الكريم، إما تفصيلا أوإجمالاً أو أشارة ، كما أشتمل القرآن أيضا على قصص كثير من الأنبياء والرسل، وما لاقوه في سبيل دعوتهم من الأذى و التعب و النصب والعراقيل ، و قد قيل: إن قصص القرآن الكريم احتلت ما يقارب نسبة 25% من القرآن الكريم مما يدل على عظم شأنها في دين الإسلام و أهميتها الكبيرة في دين المسلمين، وسنذكر ما يمكننا من شأن أوجه أهميتها بالنسبة للمسلم :

1- يتبين للمسلم من الاطلاع على سيرة النبي ﷺ أنه كان في الغاية من الكمال البشري ، فما من صفة بشرية حميدة إلا و هي فيه ﷺ في نهاية كمالها ، و الفائدة في ذلك بالنسبة للمسلم: أن الطبائع البشرية تميل بحبها إلى ذوي الصفات الحميدة، و تنفر بطبعها عن ذوي الصفات القبيحة ،فإذا عرف المسلم أن نبيه محمداً ﷺ قد جمع في شخصيته كل ما يحمد من صفات الرجال، و أنه قد بلغ في كل صفة منها الغاية و النهاية مال به حبه إليه، واشتدت رغبته في التوجه إليه، وجره ذلك إلى السمع و الطاعة له في ما يأمر و ينهى .
2- إذا كان الحال بالنسبة للمسلم كما ذكرنا فإنه إذا علم أنه رسول من الله تعالى، وأنه لا يأمر بشيء من تلقاء نفسه إنما هو رسول مبلغ لما يوحى إليه فإن ذلك يزيد في توجهه إليه وإقباله عليه لأن حق الله أعظم.
3- إذا رأى المسلم ما كان فيه النبي ﷺ و المسلمون من الفقر و الجوع و الحاجة، وأن حياتهم كانت متاعب و مصاعب و خوف....الخ. هان عليه ما هو فيه من البلاء و المصائب.

4- إذا رأى المسلم ما لقيه النبي ﷺ و أصحابه من العناء و الأذى و القتل و القتال و المضايقة و الخوف الطويل في سبيل دعوة الإسلام استعظم نعمة الله عليه حيث أولاه نعمة الإسلام من غير عناء ولا تعب، وأداه ذلك إلى تعظيم النبي ﷺ و أصحابه المخلصين الذين تحملوا ما تحملوا في سبيل الدين و الإسلام، ورأى أن لهم عليه المنة في ذلك .

5- إذا رأى ما لقي النبي ﷺ في حياته من المكروهات حتى من زوجاته وهو أكرم البشر على الله علم علما أن الدنيا دار المحن و البلاء فتطمئن نفس المؤمن لما هو فيه من البلاء و تشتد عزيمتهم على الرضاء بالقضاء، و تنظر عين بصيرته إلى الدار الأخرى .

6- بالاطلاع على سيرة النبي ﷺ يتبين للدعاة إلى الله و إلى دينه الطريق الناجح للذي يسلكونه في دعوتهم إلى الله من بدايتها إلى نهايتها، ومعرفة ذلك إنما تحصل بمعرفة سيرة الرسول ﷺ .

7- بمعرفة السيرة يعرف سلطان المسلمين كيف يتعامل مع الأعداء من المشركين و الظالمين في حالة الضعف، و حالة القوة، وكيف يتعامل مع المنافقين، وكيف يتعامل مع المؤمنين المخلصين ....الخ.

8- و بمعرفة السيرة يعرف المسلم كيف يتعامل مع السلطان العادل، ويعرف ما عليه من الحقوق له، و ما يستحقه، و كيف يعامل إخوانه المؤمنين....الخ.

9- يعلم المؤمن أن النصر ليس بقوة العدد و العدة و الكثرة، وأنه إنما يكون بطاعة الله ورسوله ﷺ و صدق النية.

10- السيرة النبوية مليئة بالعبر إذا عرفها البصير أعتبر و حذر أن يقع في مثل ما وقع هناك، فيتجنب الأسباب التي أدت إلى حدوث تلك الأحداث السيئة.

[غزوة بني قريظة]

كانت غزوة بني قريضة عقب غزوة الأحزاب مباشرة من غير تراخ، وذلك أنه كان بين بني قريظة و النبي ﷺ عهد ، فلما قدمت الأحزاب، ونزلوا على المدينة نقضوا العهد الذي بينهم و بين النبي ﷺ ، فلما علم النبي ﷺ بذلك ساءه، وشق عليه، وعلى المسلمين، فلما أيد الله رسوله ﷺ ، ونصره، وهزم المشركين، وردهم بغيظهم لم ينالوا خيراً، و رجع النبي ﷺ إلى المدينة مؤيداً منصوراً، وأراد أن يضع السلاح جاءه جبريل عليه السلام، فقال له : إن الله يأمرك أن تنهض إلى بني قريظة ، فنهض النبي ﷺ من ساعته، وأمر الناس بالمسير إلى بني قريظة ، وكانت على أميال من المدينة، وذلك بعد صلاة الظهر، وقال النبي ﷺ : ((لا يصلينَّ احد منكم العصر إلا في بني قريظة))، فسار الناس، فبعضهم صلاها في الطريق، وبعضهم لم يصلها إلا في بني قريظة بعد المغرب، فلم يعنف النبي ﷺ واحداً من الفريقين .

و تبعهم رسول الله ﷺ ، وأعطى الراية علي بن أبي طالب، ثم نازلهم، وحاصرهم خمساً وعشرين ليلة ، فلما طال عليهم الحصار نزلوا على حكم سعد بن معاذ، لأنهم كانوا حلفائه في الجاهلية ، فاستدعاه النبي ﷺ ، فجاء، فلما دنا من خيمة الرسول ﷺ قال ﷺ : ((قوموا إلى سيدكم)) فقام إليه المسلمون، فأنزلوه إعظاما و إكراما و احتراما ، و بعد محاورة أصدر سعد حكمه، فقال : ((إني أحكم أن تقتل مقاتلتهم، وتسبى ذريتهم و نسائهم وأموالهم ، فخدت أخاديد وجيئ بهم مكتوفين، وضربت أعناقهم ، وقد ذكر الله تعالى هذه الغزوة المباركة بعد ذكره لغزوة الأحزاب فقال سبحانه : ((وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون وتأسرون فريقا و أورثكم أرضهم و ديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤوها وكان الله قويا عزيزا)) .

فأخبر الله تعالى، وذكّر المؤمنين بعظيم نعمته عليهم حيث رد عنهم المشركين،

وهزمهم ، ثم أتبع ذلك بنعمة أخرى عظيمة، وهي أنه تعالى أذل يهود بني

قريظة الذين نقضوا العهد، وتعاونوا مع أحزاب المشركين و أنزلهم من عزمهم، وأخرجهم من حصونهم، وألقى في قلوبهم الرعب و الخوف حتى تمكنتم من قتل رجالهم و سبي نسائهم و أولادهم، وغنمتم بيوتهم و حصونهم و أموالهم و أراضيهم ، و كتب لكم مع ذلك السيطرة على أرض أخرى .

ولم تحدد في الآية الأرض الأخرى، وذكرها الله تعالى مبهمة، فلعلها ما سيطر عليه المسلمون بعد ذلك من أراضي اليهود كخيبر و غيرها و قيل: إنها أرض فارس و الروم و الله اعلم.

قد يقال : إن في حكم سعد بن معاذ في يهود بني قريظة قساوة لا ينبغي أن يقرها الإسلام فما هو العذر الذي دعا النبي ﷺ إلى إقار ذلك الحكم مع ما عرف من سماحة الإسلام ونبي الإسلام ؟

والجواب والله الموفق :

1- أن اليهود الذين كانوا في المدينة وحولها كانوا قد استيقنوا نبوة النبي ﷺ وعلموا صحة رسالته وتماماً كما قال تعالى عنهم: ((يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)) ((فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)) وأخبر تعالى عنهم بأنهم يكتمون الحق وهم يعلمون .

2- أخبر الله في القرآن أنه أخذ عليهم العهود في الإيمان بمحمد ﷺ المصدق لما معهم من الكتاب والحكمة فلما جاءهمالنبي ﷺ أخلفوا ما عاهدوا الله عليه .

3- أنهم لم يكتفوا بالكفر بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبدينه ورسالته بل تجاوزوا ذلك إلى السعي في إطفاء نور الرسالة وسعوا في ذلك غاية السعي وجدوا غاية الجد ، ولم سبيلاً إلى ذلك الغرض إلا سلكوه ، ولا حيلة إلا أبرموها ولا مكراً إلا مكروه ، وقد وصفهم الله تعالى بأنهم بلغوا الغاية والنهاية في عداوتهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولدينه وللمسلمين فقال تعالى: ((لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود ...الآية)).

4- أنهم كانوا جرثومة فساد في عاصمة الإسلام (المدينة) فكان لا بد من التخلص من تلك الجرثومة المفسدة للإسلام والمسلمين ، وقد أخبر الله تعالى عن بعض نواياهم فقال سبحانه : ((وقالوا ليس علينا في الأميين سبيل)) ((آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)) وكانوا يثيرون العداوات الجاهلية بين الأوس والخزرج ، وعلى الجملة ففسادهم كان بصفة مستمرة يزداد ويستشري و لا يقف عند حد.

5- أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يتوقع اسلامهم لما أخبر الله تعالى عنهم من التمرد في كتابه الكريم وأنهم لن يزالوا واقفين في وجه رسالة الله يضربونها بسيوفهم ويطعنونها برماحهم ، ويصدون عنها بأموالهم وحيلهم ومكرهم ، فحين علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك ، وعرف أنه لا سبيل إلى التخلص من فسادهم وشرهم إلا بالقتل أقر حكم سعد ورضي به (وآخر الدواء الكي) وقد قال سبحانه : ((إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا....الآية))

[غزوة بني النضير]

في تفسير أهل البيت عليهم السلام في تفسير سورة الحشر :((هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر))، يعني بني النظير أخرجهم الله تعالى

من ديارهم من نواحي المدينة و هم نفر من اليهود كانوا هنالك، فأخرجهم الله تعالى صاغرين ، و ذلك أنهم كانوا صالحوا الرسول ﷺ أن لا يكونوا عليه و لا له ، فلما غلب يوم بدر قالوا : هو الذي في التوراة، لا ترد له راية ، فلما غلب يوم أحد ارتابوا، فخالفوا قريشا على حرب الرسول ﷺ ، فلما علم النبي ﷺ بنقضهم العهد الذي بينه وبينهم صبّحهم بالكتائب فحاصرهم إحدى و عشرين ليلة .. و قد كان عبد الله بن أبي المنافق وعدهم بالنصرة، وقال لهم : ((لإن أخرجتم لنخرجن معكم و لا نطيع فيكم أحدا أبدا و إن قوتلتم لننصرنكم و الله يشهد إن المنافقين لكاذبون)) فلما قذف الله الرعب في قلوبهم طلبوا النبي ﷺ الصلح، فأبى عليهم إلا الجلاء، فجلوا إلى أرض الشام ، و طائفة إلى خيبر ، و طائفة إلى الحيرة، و أطلق لهم النبي ﷺ أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير واحد ما شاؤوا من متاعهم.

و قوله تعالى: ((لأول الحشر)) أي أن الله تعالى أخرجهم من جزيرة العرب و أجلاهم عنها عند أول حشرهم، لأنهم أول من أجلي من اليهود عن الجزيرة، وحشروا إلى الشام ، وأخر حشرهم كان في زمن عمر بن الخطاب حين أجلاهم من خيبر إلى الشام. أ.هـ.

((ما ظننتم أن يخرجوا و ظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث ل يحتسبوا و قذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يا أولي الأبصار))المعنى و الله أعلم :

أنكم أيها المؤمنون ما كنتم تظنون أن يهود بني النضير سيخرجون من ديارهم وحصونهم، لما هم فيه من القوة و التمكن و الحصانة و الشدة ، وهكذا يهود بني النضير، ما كانوا يظنون أنهم سيخرجون من ديارهم وحصونهم صاغرين ذليلين، بل ظنوا أنهم في مأمن أمين، وهو حصونهم المنيعة ، لا يستطيع النبي ﷺ والمسلمون أن ينالوهم فيها بأذى

، وخيب الله تعالى ظنهم، وأتاهم من حيث لم يحتسبوا، و إتيان الله إياهم من حيث لم يحتسبوا هو تيسيره لأمور:

1- سهل الله تعالى للمسلمين الطريق إلى قتل سيدهم كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلمة الأنصاري غيلة بأمر النبي ﷺ ، فكان ذلك من ما فت في أعضادهم، وزلزل أقدامهم .
2- ثبط الله تعالى المنافقين عن نصرتهم.
3- قذف الله في قلوبهم الرعب .
4- ثم بما تعقب ذلك من اجتماع المسلمين و نبيهم ﷺ على حربهم وحصارهم.

و من العبرة في هذه الحادثة أن اليهود كانوا يخربون بيوتهم من الداخل بأيديهم لئلا ينتفع بها المسلمون بعد الجلاء، وكان المؤمنون يخربون بيوت اليهود من الخارج ليغيضوا اليهود، وقوله تعالى: ((فاعتبروا يا أولي الإبصار)) فيما ذكر الله تعالى من قصة هؤلاء اليهود حيث أذلهم الله، وأخرجهم من بيوتهم و حصونهم صاغرين مطرودين مهزومين تاركين أموالهم ومزارعهم و بيوتهم للمسلمين على رغم أنافهم ، مع أنهم قد كانوا في عزة ومنعة وقوة، وأجمعت ظنون المسلمين و اليهود عندها أن عدوهم الذي هو النبي ﷺ و المسلمون لا يقدرون على الوصول إليهم لا بالقتل ولا بالطرد ولا بالجلاء ، فأمر الله تعالى أولي الأبصار أن يعتبروا بذلك، أي لا تصنعوا يا أهل البصائر مثل ما صنع اليهود فيلحقكم مثل ما لحقهم من بأس الله ونقمته، وذلك أن اليهود إعتمدوا على قوتهم و منعتهم و على ما هم فيه من وفارة أسباب النصر و السلامة، فلم ينفعهم ذلك حين خالفوا الله ورسوله ﷺ ، وشاقوا الله و رسوله ﷺ ، لذلك فلا ينبغي لأحد أن يعتمد إلا على ربه، و لا يتوكل إلا عليه، و لا يثق إلا به، أما الاعتماد على ما سوى الله تعالى من قوة مادية أو معنوية

فما هو إلا جهل و غرور، قال الله تعالى: ((و لو لا أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار ذلك بأنهم شاقوا الله و رسوله و من يشاق الله فإن الله شديد العقاب ما قطعتم من لينة أو تركتموها قائمة على أصولها فبإذن الله ويخزي الفاسقين))

المعنى : أن الله تعالى قد جعل جلاء يهود بني النضير عن ديارهم و أموالهم صاغرين ذليلين جعل ذلك جزائهم في الدنيا على تكذيب النبي ﷺ ونقض العهد معه و مشاقته و معاداتهم، و حكم بذلك عليهم، ولو لا ذلك الحكم لحكم عليهم بعذاب أخر في الدنيا كالقتل و السبي و تغنم الأموال وذلك كما فعل ببني قريظة ؛ وسبب استحقاقهم لذلك العذاب هو مشاقتهم و معاداتهم لله تعالى ولرسوله ﷺ .

هذا وقد كان المسلمون في وقت حصار اليهود فريقين فريق يقطع نخيل اليهود، و يحرقها، وفريق أخر يستبقونها ، و صوب الله تعالى الفريقين، لأن القاطع و المحرق يفعل ذلك ليغيض اليهود و التارك لذلك يتركها لينتفع بها المسلمون.

[نزول القرآن على رسوله ﷺ]

نزل القرآن على رسول الله ﷺ شيئا فشيئا، واستمر تنزيله منذ مبعث النبي ﷺ إلى وفاته، وذلك عشرون سنة تقريباً ، فلم يستتم نزوله إلا بعد العشرين السنة .

قال الله سبحانه و تعالى: ((و قال الذين كفروا لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة كذلك لنثبت به فؤادك و رتلناه ترتيلا))

وقال سبحانه و تعالى: ((و قرآن فرقناه لتقرئه على الناس على مكث و نزلناه تنزيلا))

[كيفية تلقي النبي ﷺ للوحي]

كان النبي ﷺ يتلقى الوحي عن رب العزة جل و علا على وجوه:

1- يأتيه جبريل عليه السلام في صورة دحية بن خليفة الكلبي ، وكان دحية رجلاً جميلا فيقرئ على النبي ﷺ القرآن، ويعلمه ما شاء الله من العلم.

2- يتلقاه أيضا عن جبريل عليه السلام، وجبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها، و قد وقع التلقي للوحي على هذه الصفة
مرتين حسب ما حكاه الله تعالى في سورة النجم.

3- تأخذ النبي غشية يغيب فيها النبي ﷺ بحواسه ومشاعره، ويصير في هذه الغشية كالنائم ، و يتلقى النبي ﷺ في هذه الغشية الوحي ، ثم بعدها يستفيق من غشيته كما يستفيق النائم من نومه، فيقرؤ على الناس ما أوحي إليه من ربه .

4- يأتيه الوحي أيضا و هو في النوم، و رؤيا الأنبياء حق.

5- قد تلقى النبي ﷺ كلاما من الله خلقه الله تعالى في سدرة المنتهى يوم أُسري بالنبي ﷺ إلى السماء ، و هكذا نبي الله موسى صلوات الله عليه فإنه سمع كلام الله من شجرة الزيتون، فإن الله خلق الكلام الذي يريده في شجرة الزيتون.

[سيرة النبي ﷺ في أصحابه]

[في التواضع:]

- كان النبي متواضعا حقاً، فكان بين أصحابه كأحدهم، بل إنه ﷺ كان أشدهم تواضعاً، يجيب دعوة العبد و المولى و المرأة و الفقير و الضعيف، وكان يأكل من طعامهم، و يشرب من شرابهم، ويدعو لهم، ويداعب أطفالهم ، و كانوا يسألونه ﷺ

أن يصلي في بيوتهم ليتخذوا مكان صلاته مصلى، و ربما ابتدأهم النبي ﷺ فيقول : ((دعوني لأصلي لكم)).

[في أهل الزلات من المؤمنين:]

- كان الصحابة يتعلمون الإسلام و الإيمان بالتدريج، فكثيرا ما يحصل منهم ما لا ينبغي و لا يجوز بسبب الجهل والخطاء أو الغفلة أو ضعف الإيمان ، وكان ﷺ في معاملته لهم كما لو لم يصدر منهم شئ من ذلك، فلم تتغير معاملته لهم عما كانت عليه من قبل عصيانهم ، و كان كما قال تعالى عنه : ((فبما رحمة من الله لنت لهم و لو كنت فضا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم و استغفر لهم و شاورهم في الأمر))

فكان ﷺ مع لين جانبه و سهولة أخلاقه وعظيم كرمه، يعفو عن ما صدر من أصحابه من الأخطاء، ويسأل لهم الله تعالى المغفرة، و يدعوهم للمشاورة في أمور الإسلام العامة ليستطيب بذلك نفوسهم.

[معاملته ﷺ مع المنافقين:]

كان النبي ﷺ يعامل المنافقين كما يعامل المؤمنين ما داموا مسرين لنفاقهم و كافين لشرهم، فإذا ظهر من منافق كيد للإسلام و المسلمين دفعه ﷺ بما يرده، ثم يعود إلى معاملتهم بالحسنى، بل كان ﷺ يبالغ في الإحسان إليهم رجاء أن تميل قلوبهم إلى الإيمان و الإخلاص ، و كان ﷺ يغضي ما أمكن عن ما يبدو من نفاق المنافقين، ولا يؤاخذهم، ولا يكشف أستارهم إلا أن يأمره الله تعالى بشيء من ذلك ، و من شواهد ما ذكرنا أن

النبي ﷺ حين مات عبدالله بن أُبي رئيس المنافين حضر النبيﷺ جنازته، وكفنه في ثوبه، وصلى عليه، وقام على قبره .

ثم نزل عليه القرآن بعد ذلك ينهاه عن الصلاة على المنافقين ((ولا تصلي على أحد منهم مات أبدا ولا تقوم على قبره...الآية))

[معاملته ﷺ مع عدوه]

كانت قريش ألد أعداء النبي ﷺ و أشدهم عليه ولم يلق ﷺ من غيرهم مثل ما لقي منهم، كذبوه، واستهزءوا به، وأذوه، وحصروه مع بني هاشم سنين في مكة، وعذبوا أصحابه، ثم طردوه، ثم بعد ذلك حاربوه في بدر .

ثم في أحد حيث جرى هنالك أكبر قتلةٍ في صفوف المسلمين على عهد النبي ﷺ ، و في هذه المعركة جرح النبي ﷺ في وجنته جرحا سالت منه الدماء ،و كسرت رباعيته ، و أسقطوه ﷺ في حفرة مما أدى إلى أوجاع في رجلي النبي ﷺ .

ثم غزوة يوم الخندق في جيوش جرارة، لو لا عناية الله و تأييده لنبيه ﷺ لاكتسح ذلك الجيش المدينة، ولكن الله برحمته هزمهم، وردهم خائبين ، ثم صدوا النبي ﷺ و أصحابه و ما معهم من الهدي عن دخول مكة للعمرة، وكان النبي ﷺ و المسلمون محرمين ، و في يوم فتح مكة حين دخل ﷺ و المسلمون مكة بجيوشهم الكثيرة بالقوة، وأيقنت قريش أنه لا طاقة لها في مواجهة ذلك الجيش استسلمت ، و أصبحت قريش و قائدها أبو سفيان في قبضة النبي ﷺ ، فقال لهم النبي ﷺ بعد حوار إستمرحموا فيه النبي ﷺ ، وطلبوا العفو فقال : ((أذهبوا فأنتم الطلقاء)) فعفى النبي ﷺ عنهم،

وأطلقهم، و لم يأخذهم بما فعلوه به و بأصحابه ، بل أنه ﷺ أعطى روساء قريش من غنائم حنين كل واحد منهم مائة من الإبل، ليستميل بها قلوبهم إلى الإسلام، و يرغبهم بها إلى الانقياد له، لأنهم لم يسلموا يوم فتح مكة الإسلام الحق، و إنما استسلموا و أظهروا كلمة الإسلام خوفاً من السيف.

[معاملته ﷺ مع أهله و قرابته :]

كان ﷺ أبر الناس بأهله، وقد قال ﷺ : ((خيركم خيركم لأهله و أنا خيركم لأهلي)) و كان ﷺ يصل الرحم، و يأمر بصلتها .

[الحديبية و بيعة الرضوان]

وقع فتح الحديبية و بيعة الرضوان في ذي القعدة من السنة السادسة للهجرة.

أراد النبي ﷺ أن يسير إلى مكة معتمراً، فدعا من حول المدينة من

الأعراب و أهل البوادي ليخرجوا معه حذرا من قريش أن يعرضوا له، ويصدوه عن البيت الحرام ، فسار ﷺ هو ومن معه، وأحرموا، وساقوا الهدي ليبيّن للناس أنه لا يريد حربا ، فتثاقل الكثير من الأعراب، و قالوا : يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره، و قتلوا أصحابه، و ظنوا أنه سيهلك في سفره هذا، فلا يرجع إلى المدينة ، فاعتذروا بالشغل بأهاليهم و أموالهم .

وقد ذكر الله تعالى خبر هؤلاء الأعراب المتخلفين في سورة الفتح، فقال سبحانه : ((سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما

ليس في قلوبهم)) يعني أن تخلفهم ليس لما قالوا ، وإنما عذرهم الذي خلفهم هو الشك و النفاق ، وطلبهم الاستغفار ليس صادرا عن رغبة، لأنهم منافقون لا يبالون بالاستغفار ولا بعدمه.

ثم قال تعالى مخاطبا لهؤلاء المنافين : ((قل فمن يملك لكم من الله شيئا إن أرادبكم ضرا أو أراد بكم نفعا بل كان الله بما تعملون خبيرا بل ظننتم إن لن ينقلب الرسول و المؤمنون إلى أهليهم أبدا و زين ذلك في قلوبكم و ظننتم ظن السوء و كنتم قوما بورا)) أي هالكين.

فخرج النبي ﷺ في من خرج معه إلى مكة محرمين ملبين بالعمرة، ومعهم الهدي حتى إذا بلغوا عسفان لقيهم بشر بن سفيان الكعبي فقال: يا رسول الله هذه قريش قد سمعت بمسيرك، وخرجت معها العوذ المطافيل، قد لبست لك جلود النمور، يعاهدون الله تعالى ألا تدخلها عليهم عنونة أبداً، و هذا خالد بن الوليد في خيلهم، قد قدموه إلى كراع الغميم، فقال رسول الله ﷺ : ((يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر الناس ؟ فإن أصابوني كان الذي أرادوا ، وإن أظهرني الله تعالى دخلوا في الإسلام و هم وافرون، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فماذا تظن قريش ؟ فوالله لا أزال أجاهدهم على الذي بعثني الله تعالى به حتى يظهرني الله عز وجل، أو تنفرد هذه السالفة)) ثم أمر الناس فسلكوا طريقا غير الطريق التي فيها خالد بن الوليد، حتى إذا بلغ الحديبية بركت ناقته فقال الناس : خلأت القصوى ، خلأت القصوى، و قال ﷺ : ((ما خلأت القصوى و ما ذلك لها بخلق و لكن حبسها حابس ألفيل عن مكة ، و الله لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألوني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها، ثم قال ﷺ للناس : إنزلوا ، فنزلوا على ثمدٍ قليل الماء، فلم يلبث الناس أن نزحوه ، فشكوا إلى رسول الله ﷺ العطش فإنتزع ﷺ سهما من كنانته ، و أمرهم أن يجعلوه فيه، فخرج الماء بكثرة ببركته ﷺ ،

فلما أطمأن رسول الله ﷺ بذلك المكان اتته رسل قريش فأول رسول كان بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه خزاعة، و كانوا عَيبة نصح للنبي ﷺ ، فأخبر النبي أن قريشاً قد صممت، وعزمت على صدك عن البيت الحرام وقتالك، فقال ﷺ : ((إنا لم نجيء لقتال أحد و أنما جئنا معتمرين ....الخ))، فرجع ورقاء إلى قريش، ثم بعثوا عروة بن مسعود، فجاء إلى النبي ﷺ ، وكلمه فقال له النبي ﷺ نحوا من قوله لورقاء، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال : أي قوم و الله لقد و فدت على الملوك، و وفدت على كسرى و قصير و النجاشي، و الله ما رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد محمداً، و الله إن تنخم نخامة إلا و قعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه و جلده ، و إذا أمرهم ابتدروا أمره ، وإذا توضاء كادوا يقتتلون على وضوئه، و إذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده ، و ما يحدون النظر إليه تعظيما له .

ثم بعثوا رجلا من بني كنانة، فلما دنا من الحديبية رأى البدن قائمة، ورأى المسلمين يلبون ، و كان هذا الكتابي من قوم يعظمون البدن ، فرجع قبل أن يصل، فقال لأصحابه : رأيت البدن قد قلدت، وأشعرت، فما أرى إن يصدوا عن البيت .

ثم بعثت قريش مكرر بن حفص و هو رجلٌ منهم، فكلم النبي ﷺ فبينما هو يكلمه ﷺ إذ جاء سهيل بن عمرو، فتفاءل النبي ﷺ بمجيئه و قال : ((سهل لكم من أمركم)).

فكان سهيل آخر سفراء قريش إلى النبي ﷺ ، و مع سهيل جرى عقد الصلح بين النبي ﷺ و بين قريش، ولم يرض سهيل حين كتابة الصلح أن يكتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم، و لا محمد رسول الله ، بل يكتب باسمك اللهم، و محمد بن عبدالله، و كان على

عليه السلام هو الذي كتب الصلح، فأمره النبي ﷺ إن يمحو رسول الله و يكتفي بمحمد بن عبدالله، فاستعظم علي ذلك، فمحا رسول ﷺ بيده، و محا من الكتاب بسم الله الرحمن الرحيم، وأبدلها باسمك اللهم ، ثم قال النبي ﷺ لعلي عليه السلام :((إنه سيكون لك مثلها)) و تم الصلح على :

1- أن يرجع النبي ﷺ هذه السنة عن دخول مكة على أن يدخلها معتمرا في العام المقبل ، و سميت هذه العمرة عمرة القضاء، و الأولى عمرة الحديبية.
2- أن على النبي ﷺ إن يرد إلى قريش من أتاه منهم و إن كان مسلما.
3- ليس على قريش أن يردوا من جاءهم من المسلمين.
4- أن يأمن الطرفان فلا يمس أحد منهما الآخر بأذى، ولا يتعرض له بمكروه ، و إطفاء نار الحرب و ترك القتل و القتال .
5- أن تكون فترة هذه الهدنة عشر سنوات يختلط فيها الطرفان، ويأمن الفريقان حيثما كانوا و حيث حلوا و نزلوا .

[استنكار عمر لهذا الصلح]

و قد استنكر عمر بن الخطاب هذا الصلح، فجاء إلى النبي ﷺ منفعلاً، فقال للنبي ﷺ : الست نبي الله حقا؟ فقال ﷺ : بلى، فقال عمر: ألسنا على الحق و عدونا على الباطل؟ فقال النبي ﷺ :بلى، فقال عمر :فلم نعطي الدنية في ديننا إذا ؟ فقال ﷺ : أني رسول الله و لست أعصيه و هو ناصري .

فقال عمر : أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت و نطوف به؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بلى ، أفأ خبرتك أنا نأتيه العام ؟ قلت : لا فقال صلى الله عليه وآله وسلم : فإنك آتيه ومطوف به.

فذهب عمر إلى ابي بكر و كرر عليه نفس الأسئلة التي سألها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأجابه أبو بكر مثل جواب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم حذره من تلك الانتقادات على النبي صلى الله عليه وآله وسلم الموهمة للشك بنبوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، والموهمة لكذبه صلى الله عليه وآله وسلم ، وأمره أبو بكر باتباع النبي صلى الله عليه وآله وسلم و ملازمته و ترك الشكوك فيه لأنه رسول الله و نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ، و كان عمر يحدث عن نفسه و يقول : فعملت أعمالا كثيرة ليكفر الله عني ذنوب تلك الكلمة.

فلما تم الصلح أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أصحابه بأن ينحروا البدن، ثم يحلقوا

رؤوسهم، فلم يفعلوا، و كرر عليهم، فلم يفعلوا ، فدخل النبي صلى الله عليه وآله وسلم خيمته، ثم خرج إليهم، و لم يكلمهم، فنحر، ثم حلق، فقام الصحابة، ونحروا، ثم حلقوا، و قد كانوا سبعمائة رجل، ومعهم سبعون بدنة، فكانت البدنة عن عشرة ، و في رواية أن أهل الحديبية كانوا ألفاً وأربعمائة ، و في رواية ألفاً و خمسمائة.

[بيعة الرضوان]

وسببها أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قبل مفاوضته مع قريش كان قد أرسل عثمان بن عفان إلى مكة ليخبر قريشا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يجيء لحرب أحد، و إنما جاء زائرا للبيت ، فاحتبست قريش عثمان في مكة ثلاثة أيام ، فبلغ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن الخبر قد انتشر بقتل قريش لعثمان ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ((لا نبرح حتى نناجز القوم))، ودعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان ، قيل: بايعهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الموت ، و

قيل : بياعهم على أن لا يفروا فبايع المسلمون الذين كانوا مع رسول الله ﷺ و لم يتخلف منهم إلا رجل واحد، هو الجد بن قيس، وكان منافقا، فإنه استتر، وكانت البيعة تحت شجرة في الحديبية، ثم بلغ رسول الله ﷺ بعد ذلك أن الذي كان من خبر قتل عثمان باطل .

ثم لم يحصل في الحديبية بعد ذلك إلا تتابع رسل قريش إلى النبي ﷺ حتى

تم عقد الصلح بين الطرفين ، ثم نحر الهدي في الحديبية ثم الحلق و التقصير .

ثم قفل الرسول ﷺ بعد ذلك راجعا إلى المدينة هو و المسلمون، ونزلت عليه في رجوعه سورة الفتح :- بسم الله الرحمن الرحيم ((إنا فتحنا لك فتحا مبينا)) سمى الله تعالى صلح الحديبية فتحا مبينا ، و ذلك لما ترتب عليه من الأمن و اختلاط الناس، مما تسبب ذلك في دخول الناس في الإسلام، فإنه دخل في تلك السنة في الإسلام أكثر مما دخل فيه في السنين التي قبلها .

و كانت بنود الصلح كلها في صالح المسلمين حتى البند الذي اشترطته قريش على النبي ﷺ ، و هو أن على النبي ﷺ أن يرد إليهم من جاءه من قريش و إن كان مسلما، فإنه قد انعكس في صالح المسلمين، وذلك أنه أتى النبي ﷺ بعد وصوله المدينة رجل من قريش اسمه أبو بصير، فأرسلت قريش رجلين إلى النبي ﷺ ، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه النبي ﷺ إلى الرجلين ، و قال له النبي ﷺ ، سيجعل الله لك مخرجا، فخرجا به حتى بلغا ذا الحنيفة، فنزلا يأكلان فتحيل أبو بصير على سيف أحدهما فأخذه، و قتل به أحدهما، وفر الآخر، فجاء أبو بصير إلى النبي ﷺ ، وقال له : قد والله أوفى الله ذمتك ، ثم قال النبي ﷺ : ((ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد))، فخرج حتى أتى سيف البحر ، ثم تفلت من قريش أبو جندل بن سهل فلحق بأبي بصير،

ثم لحق بهما كل من أسلم من قريش حتى اجتمع منهم عصابة ، فلا يسمعون بتجارة لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لها، فأخذوها، و قتلوا أصحابها ، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله و الرحم أن يضمهم إليه، ويؤويهم، ولا يردهم إليهم .

ثم ذكر الله تعالى في هذه السورة البيعة، فقال سبحانه :- ((إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما)) و قال سبحانه: ((لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم و أثابهم فتحا قريبا و مغانم كثيرة يأخذونها و كان الله عزيزا حكيما))

علم الله تعالى ما في قلوبهم من صدق النية في طاعة الرسول ﷺ و الصبر معه و الجد في القتال، فنزع تعالى ذلك الخوف من قلوبهم، و ملأها أمنا و طمأنينة، و رضى، و بشرهم على صدق نياتهم بفتح خيبر، و استيلائهم على مغانمها الكثيرة من الدور و النخيل و البساتين و الأموال المتنوعة التي فيها غناؤهم .

ثم وعد الله تعالى وعد بشارة فقال: ((و عدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه)) أي مغانم خيبر ((و كف أيدي الناس عنكم))

قيل : أي أهل مكة بالصلح، و قيل: أيدي حلفاء أهل خيبر، و هم أسد و غطفان، فإنهم جاؤوا لينصروا أهل خيبر، فألقى الله في قلوبهم الرعب فانهزموا .

((و لتكون آية للمؤمنين)) المعنى و الله أعلم أن الفتح لخيبر و التغنم لأموالها الكثيرة كانت على حسب ما أخبر الرسول ﷺ ، فكان ذلك آية للعالمين، و دلالة على صدق الرسول

ﷺ حيث أخبر بذلك قبل حصوله ((و يهديكم صراطا مستقيما)) لما في ذلك من زيادة اليقين بصدق النبي ﷺ و زيادة الثقة و البصيرة و الهداية.

((و آخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها و كان الله على كل شئ قديرا))

المعنى: و وعدكم الله تعالى أيضا مغانم أخرى غير ما تقدم لن تقدروا عليها الآن، وستقدرون عليها في المستقبل، قيل: هي مغانم يوم حنين، و قيل مغانم فارس والروم.

ثم قال الله تعالى لأهل الحديبية : ((و لو قاتلكم الذين كفروا)) من أهل مكة ((لولوا الأدبار ثم لا يجدون وليا ولا نصير))

و تمنن سبحانه على أهل الحديبية فقال سبحانه : ((و هو الذي كف أيديهم عنكم)) أيدي أهل مكة ((و كف أيديكم عنهم ببطن مكة)) أي في الحديبية في طرف الحرم ((من بعد أن أظفركم عليهم)) أي من بعد أن حكم لكم بالظفر و النصر لو قاتلوكم، ثم قال سبحانه و تعالى: ((و لو لا رجال مؤمنون و نساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئؤوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليماً))

المعنى والله أعلم : لولا وجود مؤمنين ومؤمنات في مكة مختلطين بالمشركين يخشى عليهم القتل لو نشبت بينكم وبين المشركين الحرب، فيلحقكم سوء القالة من المشركين بأنكم قتلتم أهل ديانتكم، بالإضافة إلى ما يلحقكم من الديات و الكفارات في قتل الخطاء، لأن دم المسلم لا يهدر، ولو تميز هؤلاء المؤمنون والمؤمنات من بين المشركين، وخرجوا جانبا لسلطناكم عليهم، ولما كففنا أيديهم ولا أيديكم ولعذبنا مشركي قريش بسيوفكم عذابا أليما.

ثم قال سبحانه وتعالى((إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين والزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شي عليما)).

أنف مشركوا مكة، واستكبروا عن التصديق برسول الله ﷺ والإيمان به، وأبو الاعتراف بالتوحيد لله , ومنعوا رسول الله ﷺ من زيارة البيت , ورفضوا كتابة بسم الله الرحمن الرحيم في الصلح، وكتابة محمد رسول الله ﷺ , لذلك أنزل الله سكينته على رسوله ﷺ ، وعلى المؤمنين، فواجهوا تلك الحمية الجاهلية بالهدوء و الإطمنان والسكون حتى تم الصلح والعهد .

فكان الرسول ﷺ والمؤمنون حين واجهوا حمية الجاهلية وتكبرها وأنفتها في طمأنينة وهدوء، قد قرّ توحيد الله تعالى في قرارة نفوسهم، وإنطوت قلوبهم على السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ ، فتواضعوا لله، ولم يتكبروا , فكان المؤمنون أولى بالإخلاص والتوحيد والهدى من غيرهم , وهم أهل ذلك، لأنهم أهل الخير .

[ابتلاء واختبار]

رأى رسول الله ﷺ قبل خروجه إلى الحديبية في المنام أنه دخل هو وأصحابه مكة آمنين، و حلقوا، وقصروا ، فقص ﷺ هذه الرؤيا على أصحابه، ففرحوا و استبشروا، و حسبوا أنها في ذلك العام ، فلما تم الصلح، ورجع المسلمون المدينة، و لم يدخلوا مكة، فحصل للبعض ريبة، و دخلتهم الشكوك ، و كان عمر بن الخطاب أول من واجه النبي ﷺ بتلك الشكوك ، و قد قدمنا المحاورة التي جرت بين عمر و النبي ﷺ ، فأنزل الله تعالى في تأكيد صحة قول النبي ﷺ وطرد الشكوك عنه قوله تعالى: ((لقد صدق

الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله أمنين محلقين رؤوسكم و مقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا))

فأكد سبحانه للمؤمنين بصيغ التوكيد البليغة أن رؤيا النبي ﷺ رؤيا حق، و أنها ستقع حسب ما أخبر .

غير أن الله سبحانه قد علم أن المصلحة العظيمة تقتضي تأخير الدخول إلى مكة إلى العام المقبل، و أن الحكمة تقتضي أن يفتح الله للمسلمين خيبر قبل دخول مكة .

[فتح خيبر]

لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية أقام في المدينة ذي الحجة و بعض المحرم، ثم خرج في بقية ذي الحجة إلى خيبر، فلما أشرف على خيبر .

قال : ((اللهم رب السموات و ما أظللن، و رب الارضين و ما اقللن، و رب الرياح و ما أذرين، فإنا نسألك خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، و نعوذ بك من شرها، و شر أهلها، و شر ما فيها ، فلما رأى أهل خيبر رسول الله ﷺ و جيشه قالوا : محمد و الخميس معه، فهربوا، فقال ﷺ : ((الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)).

فزحف رسول الله ﷺ بجيشه على أرض خيبر يأخذها ، مالا مالا، و يفتحها حصنا حصنا ، فأول حصن افتتحه المسلمون حصن ناعم، ثم حصن القموص، و هو حصن بني أبي الحقيق، و أصاب الرسول ﷺ من هنا سبايا، منهن صفية بنت حيي بن أخطب، و كانت عند كنانة إبن الربيع ابن أبي الحقيق، و بنتي عم لها، فاصطفى ﷺ صفية لنفسه.

و لما افتتح ﷺ من حصونهم ما افتتح لاذوا بالتحصن في حصنيهم الوطيح و السلالم، و كان أخر حصون خيبر افتتاحا، فحاصرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة .

و خرج مرحب اليهودي من الحصن في سلاحه، يطلب المبارزة، و يرتجز، فخرج لمبارزته علي بن أبي طالب عليه السلام، و هو يرتجز فقتله علي عليه السلام.

[فتح خيبر]

ثم بعث رسول الله ﷺ أبا بكر و عمر لفتح خيبر أحدهما بعد الآخر فانهزم كلٌ منهما، يجبنه أصحابه، و يجبنهم ، فقال رسول الله ﷺ بعد ذلك كما في البخاري: ((لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله بفتح الله على يديه ليس بفرار))

فدعا رسول الله ﷺ عليا رضوان الله عليه، و هو أرمد، فتفل في عينه، ثم قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك ، فمضى علي برايته حتى ركزها تحت الحصن، فخرج إليه أهل الحصن، فقاتلهم، و ضربه رجل من اليهود، فسقط ترسه عليه السلام من يده، فتناول علي باباً كان عند الحصن، فترس به عن نفسه، فلم يزل في يديه و هو يقاتل حتى فتح الله عليه ، ثم ألقاه من يده حين فرغ .

قال أبو رافع: أحد رواة هذا الخبر: فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نقلب ذلك الباب فما نقلبه.

[صلح خيبر]

حين أيقن أهل خيبر في حصنيهم الوطيح و السلالم بالهلكة سألوا رسول الله ﷺ أن يسيرهم، وإن يحقن لهم دمائهم، ففعل ، و كان رسول الله ﷺ قد حاز الأموال كلها، و جميع حصونهم إلا ما كان من هذين الحصنين.

فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألون أن يسيرهم، وأن يحقن دمائهم، و يخلوا له الأموال، ففعل رسول الله

ﷺ .

[قدوم جعفر بن أبي طالب و المهاجرين معه من الحبشة]

قدم جعفر بن أبي طالب في بعض المهاجرين معه من الحبشة بعد فتح خيبر، فأعتنقه النبي ﷺ ، و التزمه، و قبل بين عينيه، و قال ﷺ : ((ما أدري بأيهما أنا أسر بفتح خيبر أم بقدوم جعفر ؟)) .

و كان القادمون ستة عشر رجلا، حملهم النجاشي في سفينتين، و كان قد قدم قبل ذلك بعضهم قبل الهجرة إلى المدينة، وهم ثلاثة و ثلاثون رجلا، و بعضهم لم يقدم إلا بعد قدوم جعفر، و بعضهم مات هناك، و قد كان جملة النساء المهاجرات إلى الحبشة ست عشرة إمرأة، منهم رقية بنت الرسول ﷺ ، و أم حبيبة بنت أبي سفيان، و أم سلمة بنت أمية، و سودة بنت زمعة، و سهلة بنت سهيل بن عمرو، و أسماء بنت عميس .

ثم بعد فتح خيبر فتح رسول الله ﷺ وادي الغرس عنوة، و فتح تيماء صلحاً .

[غزوة أحد]

أرادت قريش إن تثار لقتلاها في بدر، فاجتمعت على ذلك، و صممت على غزو المسلمين في عقر دارهم، فخرجت بجدها و حديدها، و أحابيشها - من انضم إليهم من غيرهم -،وبمن تابعها من بني كنانة، و أهل تهامة ، و خرجوا معهم بنسائهم لئلا يفروا .

[رؤيا رسول الله ﷺ]

لما سمع الرسول ﷺ خبر نزول قريش بالقرب من المدينة قال ﷺ لأصحابه : ((أني قد رأيت بقراً تذبح، و رأيت في ذباب سيفي ثلماً، و رأيت أني أدخلت يدي في درع حصينة، فأولتها المدينة))، و قال ﷺ : ((فأما البقر فهي ناس من أصحابي يقتلون، و أما الثلم الذي رأيت في ذباب سيفي فهو رجل من أهل بيتي يقتل ..، ثم أشار ﷺ على المسلمين بأن الرأي أن يقيموا في المدينة، فإن دخلت عليهم قريش حاربوها، و إن أقامت حيث نزلت أقامت في شر مقام، و كره ﷺ الخروج من المدينة لحرب قريش ، وكان رأي عبدالله بن أبي بن سلول مثل رأي النبي ﷺ ، و قال الكثير من الذين فاتهم يوم بدر و من غيرهم : اخرج بنا إلى اعدائنا لا يرون أنا جبنا عنهم ، و ما زالوا يلحون على الرسول ﷺ في الخروج ، وكانوا هم الكثرة الغالبة حتى دخل الرسول ﷺ ، بيته ولبس لامة الحرب، فلما خرج قالوا : يا رسول الله استكرهناك على الخروج من المدينة، فوافقتنا و أنت كاره، وما ينبغي لنا ذلك، فإن شئت فلا تخرج، فقال ﷺ : ((ما ينبغي لنبي إذا لبس لامته أن يضعها حتى يقاتل)).

فخرج النبي ﷺ في ألف من أصحابه فلما خرجوا من المدينة قليلا رجع عبدالله بن أبي بن سلول بثلث الناس ، و قال : أطاعهم و عصاني.

و مضى رسول الله ﷺ حتى نزل في طرف الوادي إلى أحد، فجعل ﷺ أحداً خلف ظهره و ظهور عسكره ، فعبّى ﷺ أصحابه للقتال ، و جعل على الرماة عبدالله بن جبير، و كانوا خمسين رجلا ، و أمرهم بالوقوف على جبل الرماة ليردوا من يحاول من المشركين الدخول لقتال المسلمين من ورائهم ، و نهاهم الرسول ﷺ أن ينزلوا من مكانهم، وإن يثبتوا سواء أكانت للمسلمين أو عليهم، لئلا يؤتى المسلمون من خلفهم ،و كان مجموع جيش المسلمين سبعمائة مقاتل .

و بدأت المعركة و التحم القتال، وأعطى الله تعالى المسلمين النصر، والظفر، و قتل أصحاب لواء المشركين، الواحد بعد الآخر، و هزم جيش المشركين، و كانوا ثلاثة آلاف رجل.

و قد ذكر الله تعالى قصة هذه الغزوة، و تفاصيلها في ستين آية من سورة آل عمران، فقال سبحانه عن النصر في أول المعركة ثم الهزيمة في أخرها : ((ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه)) أي تستأصلونهم ((حتى إذا فشلتم و تنازعتم في الأمر و عصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون)) أي إنكم أيها المسلمون الذين تسببتم في حصول الهزيمة بعد ما رأيتم النصر ، و السبب

هو التخاذل و الاختلاف و معصيتكم للرسول ﷺ حيث تركتم مراكزكم .

قال تعالى: ((منكم من يريد الدنيا و منكم من يريد الآخرة)) أي الذين أرادوا الدنيا هم الذين تركوا مراكزهم، و ذهبوا طمعا في النهب و الغنيمة ((ثم صرفكم عنهم)) بعد ذلك رفع الله نصره عن المسلمين، فكان ما كان من الابتلاء و التمحيص.

ثم نعى الله عليهم فرارهم عن نبيهم ﷺ و هو ﷺ يدعوهم، و هم فارين، مصعدين الجبل، لا يلتفتون إليه، ولا يسمعون لندائه، فقال : ((إذ تصعدون و لا تلون على احد

و الرسول يدعوكم في أخراكم)) فتركوا نبيهم في ساحة المعركة، و فروا عنه، و أسلموه للعدو ، و لم يبق معه إلا أنفار ثبتوا عنده، يردون عنه هجمات المشركين، فكسرت رباعية النبي وجرح في جبهته، ووجنته ﷺ حتى سالت دماؤه ، وأسقطوه في حفرة .

و كان علي بن أبي طالب عليه السلام هو المبرز في هذه المعركة، و في الدفاع عن النبي ﷺ ، حيث كررت قريش هجماتها، و كثفت حملاتها على النبي ﷺ حين فر عنه الناس، فكان علي رضوان الله عليه يلقى كل حملة، و كل هجمة، فيقتل كبيرها، و يردها، و قتل بسيفه في هذه المعركة الكثير من صناديد المشركين، و ذوي البأس منهم، و هكذا كان رضوان الله عليه في جميع المعارك التي دارت بين النبي ﷺ و المشركين، فما من معركة

من تلك المعارك إلا و برز فيها، و ذهب بفخرها .

و لقد بلغ أثره في تلك الحروب، و بروزه، وظهور مكانته فيها إلى حد أنسى الناس ذكر عنتره العبسي و غيره من رجال العرب المشهورين بشدة البأس وكثرة القتل.

و قتل في هذه المعركة حمزة بن عبد المطلب عم النبي ﷺ ، قتله و حشي، عبد لجبير بن مطعم ، و كان قد قال له جبير بن مطعم : إن قتلت حمزة فأنت حر ، وكان لوحشي حربة يرمي بها عن بعد، على عادة الحبشة ، فكمن وحشي حيث لا يراه حمزة، فلما مر به قذفه بالحربة ، ولما انتهت المعركة خرج رسول الله ﷺ يلتمس عمه حمزة، فوجده ببطن الوادي، قد بقر بطنه عن كبده، و مثل به، فجدعت أنفه، و أُذناه ، و كانت هند بنت عتبة بن ربيعة هي التي بقرت بطن حمزة، و أخرجت كبده، و أكلتها، فلم تسغها فدلعتها .

فلما رأى النبي ﷺ ما رأى في عمه حمزة قال : (لو لا أن تحزن صفية -أخت حمزة لأبيه و أمه- ويكون سنة من بعدي لتركته حتى يكون في بطون السباع و حواصل الطير ، و لئن أظهرني الله على قريش في موطن من المواطن لأمثلن بثلاثين رجلاً منهم) .

فلما رأى المسلمون حزن رسول الله ﷺ ، و غيظه على من فعل بعمه حمزة ما فعل قالوا : والله لئن أظفرنا الله بهم يوما من الدهر لنمثلن بهم مثلة لم يمثلها أحد من العرب .

و من ما قال ﷺ حين وقف على عمه حمزة : (لن أصاب بمثلك أبدا ، ما وقفت موقفا قط أغيظ لي من هذا)

ثم إن الله عز و جل أنزل : ((و إن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به و لئن صبرتم لهو خير للصابرين ، و اصبر و ما صبرك إلا بالله و لا تحزن عليهم و لا تك في ضيق مما يمكرون)) فعفا رسول الله ﷺ ، و نهى عن المثلة .

و في سيرة بن هشام :أن رسول الله ﷺ غطَّى حمزة ببردة، ثم صلى عليه، فكبر سبع تكبيرات، ثم أتي بالقتلى، فيوضعون إلى حمزة، فصلى عليهم و عليه معهم، حتى صلى عليه اثنتين و سبعين صلاة، أي إثنين و سبعين تكبيرة .ا.هـ.

و ممن قتل مصعب بن عمير، و هو من بني عبد الدار ، و شمسان بن عثمان، و هو من بني مخزوم، و عبدالله بن جحش، و هو حليف لبني أمية،هؤلاء الأربعة الشهداء هم من المهاجرين .

و قتل من الأنصار ستة و ستون رجلاً، و جملة القتلى من المسلمين في

هذه المعركة سبعون رجلا.

و قتل من المشركين في هذه الغزوة اثنان و عشرون رجلا.

وقد نعى الله سبحانه و تعالى على المسلمين أن بلقوا بأيديهم إلى قريش يلتمسون الأمان منهم، و يطلبون رضاهم عندما بلغهم أن النبي ﷺ قد قتل، فقال سبحانه : ((و ما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل افإن مات أو قتل إنقلبتم على أعقابكم و من ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين)) فقد كان الكثير من الصحابة، ومن كبارهم، حين شاع فيهم يوم أحد خبر قتل النبي ﷺ قد أصابهم الدهش والتحير، ففكروا في أن يستسلموا لقريش، و يلتمسوا منها الأمان و يعطوها الرضا، فاستنكر الله عليهم هذا التفكير الذي نسوا فيه ربهم و نبيهم ﷺ ، وأيضا نعى الله سبحانه و تعالى على المسلمين في هذه المعركة ما أصابهم من الوهن و الضعف و الاستكانة للعدو، و قلة الثبات، و الصبر، فقال سبحانه : ((و كأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله و ما ضعفوا و ما استكانوا و الله يحب الصابرين))

المعنى أن كثيرا من الأنبياء الذين كانوا قبلكم قاتل معهم ربيون كثير من أصحابهم، فما وهنوا لقتل أنبيائهم، كما وهنتم أيها المسلمون حين شاع فيكم قتل نبيكم ﷺ ، و ما ضعفوا عن قتال عدوهم كما ضعفتم أيها المسلمون ، و ما استكانوا لعدوهم كما استكنتم أيها المسلمون و ذللتم لعدوكم حتى التمستم من عدوكم الأمان أو كدتم ، و لم تصبروا و تثبتوا كما صبر و ثبت من كان قبلكم، و أنتم تعلمون أن الله يحب الصابرين، ثم ذكر الله تعالى صبر الربيين الكثيرين الذين هم أصحاب الكثير من الأنبياء السابقين و التجائهم إلى الله بالدعاء و ثباتهم الذي لم يتزلزل إلى أن بلغوا من الأمر حيث أراد الله، فقال سبحانه :

((وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا و اسرافنا في أمرنا و ثبت أقدامنا و أنصرنا على القوم الكافرين)) فلم يستسلموا للجزع و الفزع كما استسلمتم ، و لم ينسوا ربهم، و الدعاء له، و الالتجاء إليه كما نسيتموه فلم تذكروه، و لم تدعوه، ولم تفزعوا إليه، بل خفتم و جبنتم، و كدتم إن تلقوا بأيديكم إلى عدوكم تلتمسون منه الأمان، ثم قال الله عن من تقدم من الربيين الصابرين : ((فأتاهم الله ثواب الدنيا و حسن ثواب الآخرة و الله يحب المحسنين))، ثم حذر الله تعالى المسلمين الذين فكروا في التماس الأمان من قريش، و طلب رضاهم، فقال سبحانه : ((يا أيها الذين أمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين)) أي إنكم بطاعة قريش ستخسرون دنياكم وأخراكم ، ثم ذكر الله المسلمين الذين تاهت عقولهم بالناصر الذي إن التجئوا إليه نصرهم، فقال سبحانه، و تعالى: ((بل الله مولاكم و هو خير الناصرين))

اعتصموا به، ولا تستنصروا بغيره، و الجئوا إليه، ولا ترجعوا على أعقابكم مرتدين.

ثم قال تعالى: ((سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب.... الآية)) فثقوا بنصر الله إن أنتم أطعتموه، فإنه لم يحصل ما حصل فيكم من عدوكم إلا بذنوب اقترفتموها، خالفتم فيها أمر الله، و عصيتم رسوله ﷺ .

ثم قال سبحانه : ((أو لما اصابتكم مصيبة قد أصبتم مثيلها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شئ قدير)) أي إذا قتل منكم سبعون، و هزمتم فقد سبق و أن قتلتم من عدوكم سبعين وأسرتم سبعين في يوم بدر، فلا تستنكروا ما أصابكم، فإنكم السبب حيث عصيتم رسولكم ﷺ و خالفتكم أمره، فأنتم إذا الذين أحللتم ذلك بأنفسكم ثم قال سبحانه وتعالى: ((وما أصابكم يوم التقاء الجمعان فبإذن الله و ليعلم المؤمنين ..... وليعلم الذين نافقوا و قيل لهم تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم

هم للكفر يومئذ أقرب منهم للإيمان يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم و الله أعلم بما يكتمون)) .

أي أن ما أصابكم من قريش في أحد هو بإذن الله حيث حيث رفع نصره عنكم، و خلا بينكم و بين عدوكم، ليجازيكم بذلك على معصيتكم للرسول ﷺ و خروجكم عن طاعته ، و ليتميز بذلك أهل الإيمان و أهل النفاق.

نعم الذي أذن الله به و أراده هو رفع النصر والمعونة والتخلية بين المسلمين

وقريش ، فهذا هو الذي أذن الله به، وأراده ، أما ما حصل من القتل في المسلمين، و من الجروح فيهم، و في نبيهم ﷺ ، فلم يأذن الله به ولم يرده.

ثم ذكر الله تعالى الشهداء فقال عز وجل : ((و لا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما أتاهم الله من فضله و يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم و لا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله و فضل و أن الله لا يضيع اجر المؤمنين)).

و كما ذكرنا سابقا فقد ذكر الله تعالى هذه الغزوة و الكثير من تفاصيلها في ستين آية من عمران، ولم نذكرها هنا إلا بعض الآيات، فمن أراد الزيادة فليرجع إلى الستين الآية، و تفاسيرها، و أول الآيات قوله تعالى : ((و إذ غدوت من أهلك تبوء المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم))إلى نهاية الآيات.

و في هذه الغزوة عبر :

1- أن نصر الله تعالى لأوليائه لآياتي إلا بعد بلاء شديد و محن عظيمة،



لا يتحملها إلا أهل الإيمان الراسخ، ولا يصبر عليها إلا أهل الثقة وأهل اليقين .

2- أن ثواب الدنيا الذي هو العلو، والسيطرة على الأعداء، و على أموالهم، وبلادهم، و ذراريهم و ثواب الآخرة الذي هو الجنة مترتب على طاعة الله ورسوله ﷺ ، وعلى الصبر، و الثبات، و الالتجاء إلى الله تعالى بالدعاء و الاستغفار.

3- أن معصية الرسول ﷺ ، و مخالفته في الصغير و الكبير سبب للهزيمة و ألفشل.

4- أن صحابة الرسول ﷺ و إن فازوا بفضل صحبة الرسول ﷺ ، وشرفوا بها ، كغيرهم من المسلمين تصدر منهم الطاعات و المعاصي، و يؤاخذهم الله تعالى بالمعصية، و يعاقبهم عليها، كغيرهم من العصاه ، و صحبتهم و أن كانت فضيلة لا ترد عنهم المؤاخذة و العقاب على معصيتهم.

5- عقاب الله تعالى و مؤاخذته لأهل أحد، و منهم البدريون مما يوقع الشك بصحة الحديث القائل : (إنك لا تدري لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)).

6- أن صحابة الرسول ﷺ كانوا كغيرهم فيهم المؤمن و فيهم المنافق ، و فيهم قوي الإيمان ، و فيهم ضعيف الإيمان، و فيهم المطيع، و فيهم العاصي.

[السرايا]

1- سرية حمزة بن عبد المطلب من ناحية العيص في رمضان سنة 1هـ ، و معه ثلاثون راكبا من المهاجرين ، فلقي أبا جهل في ثلاثمائة من أهل مكة، فحرج بينهما مجدي بن عمرو الجهني، فلم يكن قتال .



2- سرية عبيده بن الحارث بن عبد المطلب إلى ثنية المرة رابغ في شوال سنة واحد هجرية في ستين من المهاجرين، فلقي أبا سفيان بن حرب، و معه مائتان فكان بينهما الرمي ، و لم يسلوا السيوف ، ولم يصطفوا لقتال، و رمى سعد بن أبي وقاص بسهم لهم، فكان أول سهم رمي به في الإسلام، ثم انصرف الفريقان، و قد اختلف في أول راية عقدها رسول الله ﷺ في الإسلام، فقيل: سرية حمزة، وقيل: سرية عبيدة.

3- سرية سعد بن أبي وقاص في عشرين من المهاجرين، لتعترض عيرا لقريش، فيما بين مكة و المدينة (الخرار) في ذي القعدة سنة 1هـ، فوجدت العير قد فرت بالأمس .

4- غزوة ودان (الأبواء) خرج رسول الله ﷺ في المهاجرين حتى بلغ الأبواء، يعترض عير قريش، فلم يلق كيدا ،و وادع الرسول ﷺ مخشي بن عمرو الضمري و كان سيد قومه و ضمرة من بني كنانة على إلا يغزو بني ضمرة و لا يغزوه، و لا يكثروا عليه جمعا، ولا يعينوا عدوا و كتب بينه و بينهم كتاب، و ذلك في صفر سنة 2 هـ.

5- غزوة بواط من ناحية رضوى بين المدينة و ينبع في ربيع الأول سنة 2 هـ بقيادة الرسول ﷺ ، و معه مأتان من الصحابة، يعترض عيرا لقريش، فيها أمية بن خلف الجحمي في مائة رجل من قريش، فبلغ النبي ﷺ بواط، و لم يلق كيدا، ورجع إلى المدينة .

6- غزوة سعْوان (بدر الأولى) في ربيع الأول سنة 2 هـ خرج النبي ﷺ لطلب كرز بن جابر الفهري الذي أغار على سرح الأنعام في المدينة، و استاقه، فطلبه

النبي ﷺ حتى بلغ واديا يقال له: سعوان من ناحية بدر، فلم يلحقه، و رجع إلى المدينة.

7- و خرج النبي ﷺ في غزوة ذات العشيرة في جمادى الآخر سنة 2 هـ، و معه مائتان، يعترض عيراً لقريش، فبلغ ذات العشيرة بناحية ينبع، فوجد العير قد مضت منذ أيام إلى الشام، فرجع المدينة.

8- سرية عبدالله بن جحش الاسدي إلى بطن نخلة قرب مكة في اثني عشر من المهاجرين، ليرصد عيرا لقريش، فاشتبكوا مع أصحاب تجارة لقريش قادمين من الطائف، و ذلك في أخر يوم من رجب سنة 2 هـ فغنموا العير، و قتلوا عمرو بن الحضرمي، و أسروا أثنين .

9- غزوة بدر الكبرى في رمضان سنة 2 هـ و قد تقدم ذكرها .

10- سرية عمير بن عدي إلى عصماء بنت مروان في رمضان سنة 2هـ التي كانت تحرض على المسلمين بشعرها، فقتلها .

11- سرية سالم بن عمير إلى أبي عفك اليهودي في شوال سنة 2هـ الذي كان يحرض بشعره على المسلمين، فقتله .

12- غزوة بني قينقاع في شوال سنة 2 هـ

نقضت يهود بني قينقاع عهدها مع النبي ﷺ ، و ذلك بعد انتصار المسلمين ببدر، وأظهروا الغدر، والبغضاء حتى قال كعب بن الاشرف : والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم - أهل بدر – لبطن الأرض خير لنا من ظهرها، و خرج إلى مكة يبكي على قتلى المشركين ببدر ثم عاد و شبَّب بنساء المسلمين، فقصدهم النبي ﷺ و المسلمون، و حاصروهم حتى نزلوا على حكم النبي ﷺ ، و كانوا حلفاء الخزرج ، فقام عبدالله بن

أبي إلى النبي ﷺ يسأله الاحسان إلى بني قينقاع، و النبي ﷺ يعرض عنه ، فكرر السؤال، و ألح على النبي ﷺ ، و قال له : أربعمائة حاسر و ثلاثمائة دارع قد منعوني من الأحمر و الأسود، تحصدهم في غداة واحدة، إني والله إمرء اخشى الدوائر، فقال النبي ﷺ : هم لك فنزل في ذلك قوله تعالى((يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا اليهود و النصرى أولياء بعضهم أولياء بعض و من يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم .... إلى قوله تعالى((و من يتول الله و رسوله و الذين أمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)).

13- غزوة السويق في ذي الحجة سنة 2 هـ خرج النبي ﷺ في ركب من المسلمين لعلهم يلحقون أبا سفيان الذي جاء أطراف المدينة، فقتل أنصاريا و غلامه، و أحرق بيتاً، و ولى هارباً، و جعل أبو سفيان و أصحابه يتخففون في هربهم، فيلقون السويق، ولم يلحقهم رسول الله ﷺ .

14- غزوة بني سليم جنوب المدينة على رأس ثلاثة و عشرين شهرا من الهجرة لملاقاة جمع من بني سليم و غطفان، فلم يتفق في ذلك .

15- محمد بن مسلمة الأنصاري نفذ مهمة قتل كعب بن الاشرف اليهودي في ربيع الأول السنة الثالثة .

16- غزوة ذي أمر في نجد في ربيع الأول سنة 3هـ خرج النبي ﷺ في أربعمائة و خمسين رجلا يريد جماعة تجمعوا، يريدون الغزو على أطراف المدينة، و لم يحصل قتال.

17- غزوة بحران ناحية الفرع جنوب المدينة، و كانت بقيادة النبي ﷺ يريد جمعا من بني سليم فتفرقوا و لم يحصل قتال.

18- سرية زيد بن حارثة إلى القَردَة بنجد في جماد الآخر سنة 3هـ يعترض عيرا لقريش فتمكن من العير، و هرب أعيان القوم .

19- غزوة أحد في 15 شوال سنة 3 هـ و قد مر ذكرها.

20- خرج رسول الله ﷺ هو وكل المشاركين في غزوة أحد في طلب أبي سفيان و من معه، ليريه أن بهم قوة، و أن ما أصابهم في أحد لم يوهنهم عن عدوهم، فبلغوا حمراء الأسد، و أنسحب أبو سفيان إلى مكة، و لم تحصل مواجهة .

21- سرية أبي مسلم إلى ماء لبني أسد في محرم سنة 4هـ في مائة وخمسين رجلا لتفريق جمع جُمع هناك، ولم تحصل مواجهة .

22- سرية عبدالله بن أنس إلى عرنة قريب مكة لتفريق جمع جُمع هناك، ولم تحصل مواجهة .

23- سرية المنذر بن عمرو الساعدي، و معه سبعون من الأنصار، يسمون القراء ، وسبب ذلك أن عامر بن مالك بن جعفر الكلابي أبو براء ملاعب الأسنة قال للنبي ﷺ : لو بعثت معي نفرا من أصحابك إلى قومي لرجوت أن يسلموا ، فقال ﷺ إني أخشى عليهم أهل نجد، فقال عامر: أنا لهم جار، فبعثهم النبي ﷺ ، فلما بلغوا بئر معونة غدروا بهم، و قتلوهم جميعاً، رحمة الله عليهم.

24- و بعث النبي ﷺ ستة بقيادة مرثد بن أبي مرثد الغنوي مع رهط من قبليتي عضل و القارة سألوا النبي ﷺ معلمين، يعلمونهم الإسلام، فخرج، حتى إذا بلغوا الرجيع جنوب جدة، غدروا بهم،
فقتلوا بعضهم، و أسروا بعضاً.

25- غزوة بني النضير ربيع أول سنة 4 هـ و قد تقدمت.



26- غزوة بدر الثالثة في ذي القعدة سنة 4هـ خرج رسول الله ﷺ إلى بدر حسب الموعد بين النبي ﷺ و بين أبي سفيان، فبقي فيها ﷺ ثمانية أيام، ثم عاد إلى المدينة، و لم يخرج أبو سفيان على حسب وعده يوم أحد .

27- خرج النبي ﷺ في أربعمائة من أصحابه إلى نجد، يريد بعض قبائل غطفان في محرم سنة 5هـ، و لم يحصل في هذه الغزوة مواجهة، وسميت هذه الغزوة: ذات الرقاع، لأن المسلمين كانوا يلفون على أرجلهم الرقاع من الم المشي.

28- غزوة دومة الجندل ربيع الأول سنة 5 هـ خرج فيها رسول الله ﷺ في ألف من المسلمين حين بلغه أن بها جمعاً كثيراً، يريدون الدنو من المدينة، فلما قرب النبي ﷺ منهم تفرق ذلك الجمع، فبعث في أثره السرايا في عدة اتجاهات، فرجعت، و لم تلق أحداً .

29- غزوة بني المصطلق في شعبان سنة 5هـ و هم من خزاعة، و كانوا قد أجتمعوا لحرب النبي ﷺ بقيادة سيدهم الحارث بن ضرار، فخرج إليهم النبي ﷺ في سبعمائة من أصحابه، و تواجه الفريقان، فنصر الله تعالى نبيه عليهم، فقتلوا، و أسروا، و سبوا، و غنموا إبلهم وشياههم، و كان السبي كثيراً، منهن جويرية بنت الحارث بن ضرار سيد القوم وكانت في سهم ثابت بن قيس بن شماس، فكاتبته، فدفع النبي ﷺ مال الكتابة، و تزوجها .

و في هذه الغزوة تخاصم رجلان : أحدهما من المهاجرين و الآخر من الأنصار، فقال الأنصاري : يا معشر الأنصار، و قال المهاجري يا معشر المهاجرين، و كان عبدالله بن أُبي حاضرا في هذه الغزوة، فغضب، و قال : سّمن كلبك يأكلك، أما والله لئن رجعنا إلى

المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ مقالته، فأنكرها عبدالله، و حلف بالله ما قال، ثم نزلت سورة المنافين في عبدالله بن أبي و أصحابه.

و ظهر في هذه المعركة أثر علي بن أبي طالب رضوان الله عليه حيث قتل جماعة من شجعانهم .

[حديث الإفك]

كانت عائشة في غزوة بني المصطلق مع النبي ﷺ ، و في عودة النبي ﷺ من هذه الغزوة إلى المدينة بات هو و المسلمين في مكان، فلما حان وقت الرحيل جاء الموكلون بترحيل عير عائشة، فحملوا الهودج على البعير ظناً منهم أنها فيه، و ليست فيه، بل كانت في طلب عقد لها سقط من عنقها، فهي تبحث عنه فسار الناس فلما عادت عائشة إلى مكانها لم تجد فيه أحدا فجلست مكانها، فبينما هي جالسة إذ مر بها صفوان بن المعطل، و كان قد تخلف عن الناس لبعض حاجته، فتعرف على عائشة، فعرفها، فأناخ لها بعيره، فركبت، فانطلق يسرع بها ليلحق الجيش، فلم يلحقهم إلا حيث نزلوا، فرأى الناس صفوان يقود الجمل بعائشة، فوجد المنافقون بسبب هذه الحادثة مدخلا لإلحاق العار بالنبي ﷺ ، و تشويه سمعته، و تلطيخ عرضه بعار النساء، فرموا عائشة زوجة النبي ﷺ بالزنا، وأن صفوان بن المعطل زنا بها، فانتشر هذا الخبر في الجيش، و خاض الناس فيه، و استاء النبي ﷺ لهذا الخبر الفاحش العظيم، و دخله من سؤته مالا يحيط به الوصف من الضيق، و كان الذين ظهر منهم نشر الخبر عبدالله بن أبي المنافق، و قد كان أعظم الخبر من جهته، و حسان بن ثابت الشاعر، و مسطح مولى أبي بكر، و حنة بنت جحش زوجة طلحة ، فهؤلاء هم الذين عرفوا برمي عائشة بالزنا، ثم بعد بلاء و تمحيص نزلت

سورة النور، فبرأت عائشة، و صفوان بن المعطل، و طهرت عرض النبي ﷺ ، و نزل فيها حد القذف ((و الذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة و لا تقبلوا لهم شهادة أبدا و أولئك هم الفاسقون)) فجلد رسول الله ﷺ حسان بن ثابت، و مسطحاً، و حمنة بنت جحش حد القذف، و ترك ﷺ عبدالله بن أبي بن سلول، فلم يجلده إيثارا منه ﷺ للمصلحة العامة، لأن عبدالله بن أبي كان شريفا في قومه – الخزرج- و كبيرا و سيدا، فلو أن النبي ﷺ جلده لربما أدى إلى أن تتغير قلوب الكثير من قومه – الخزرج – و قد كان ابنه من المخلصين مع النبي ﷺ ، فكره النبي ﷺ أن يتغير قلب ابنه، و كل ذلك من أجل المصلحة العامة للإسلام و المسلمين .

و قد كان النبي ﷺ يراعي المصلحة العامة للإسلام، ألا ترى أنه لما مات عبد الله بن ابي بن سلول شهد النبي ﷺ جنازته، و وقف على قبره، و صلى عليه صلاة الجنازة، و أعطاهم ﷺ ثوبه ليكفنوه فيه ، و كان هذا قبل أن ينزل الله تعالى في ذلك : ((و لا تصل على أحد منهم مات أبدا و لا تقم على قبره)) فلما نزل النهي ترك النبي ﷺ .

30- غزوة الخندق في شوال سنة 5هـ و قد مر ذكرها.

31- غزوة بني قريظة في ذي القعدة سنة 5هـ .

32- سرية محمد بن مسلمة الأنصاري إلى القرطاء في عشرة محرم سنة 6هـ في ثلاثين راكبا إلى القرطاء، وهم بطن من بني بكر بن كلاب .

33- قتل سلام بن أبي الحقيق من أهل خيبر بعد أن انقضى شأن غزوة الأحزاب، و انتهى أمر بني قريظة في رمضان 6هـ استأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتله، لأنه السبب المباشر في تحريض المشركين على غزوة الأحزاب، فذهب خمسة منهم إلى خيبر، و دخلوا داره

ليلاً، و تمكنوا من قتله جزاء تحريضه للأحزاب .

34- غزوة بني لحيان في ربيع الأول سنة 6هـ سار النبي ﷺ بثمانين حتى وصل الرجيع، حيث غَدر ناس من قبيلتي عضل و القارة بستة من المسلمين، فقتلوهم، فلما وصل النبي ﷺ الرجيع فر أبناء القبيلتين في رؤوس الجبال، فهبط النبي ﷺ عسفان، لتسمع قريش أنه قد اقترب من مكة، وليسمعوا بقوة المسلمين و جرأتهم.

35- غزوة ذي قَرَدَ في ربيع الأول سنة 6هـ أغار عيينة بن حصن الفزاري في جماعة من غطفان على لقاح لرسول الله ﷺ في الغابة من ضواحي المدينة، فاستنقذ المسلمون منها عشراً، و سار ﷺ في خمسمائة من المسلمين حتى بلغوا ذي قَرَدَ، ثم عاد ﷺ .

36- سرية عكاشة بن محصن الأسدي في ربيع الأول سنة 6هـ إلى الغمر، و هو ماء لبني أسد في أربعين رجلاً، فعاد و لم يلق كيدا .

37- سرية محمد بن مسلمة إلى ذي القصة في ربيع الآخر سنة 6هـ، فسار في عشرة نفر إلى بني ثعلبة، فحملت عليهم الأعراب بالرماح، فقتلوهم و وقع محمد بن مسلمة جريحا فمر به رجل من المسلمين، فحمله إلى المدينة المنورة .

38- سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذي القصة في ربيع الآخر سنة 6هـ بعثه رسول الله ﷺ في أربعين إلى بني ثعلبة و بني محارب الذين
قتلوا من كان في سرية محمد بن مسلمة، ففرق أبو عبيدة شملهم .

39- 40-41-42-43 نفذ زيد بن حارثة خمس سرايا على التوالي، أولها 39 إلى بني سليم بالجموم في ربيع الآخر سنة 6هـ و ثانيها (40) في جماد الأول سنة 6هـ إلى العيص، و ثالثها (41) في جماد الآخر سنة 6هـ إلى الطرف إلى بني ثعلبة ، و

رابعها(42) إلى قبيلة حذام لتعرضها لدحية بن خليفة الكلبي في الطريق في جماد الآخر سنة 6هـ، و خامسها إلى وادي القرى لتأديب ناس من فزارة استلبوا تجارة للمسلمين في رجب سنة 6هـ .

44- سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دومة الجندل في شعبان سنة 6هـ إلى قبيلة كلب، فأسلم الاصبغ بن عمرو الكلبي، و تزوج عبد الرحمن ابنته تماضر، وهي أم ابنة أبي سلمة.

45- سرية علي بن أبي طالب إلى فدك في شعبان سنة 6هـ حيث اجتمع عدد من بني سعد بن بكر، يريدون أن يمدوا يهود خيبر، فسار إليهم علي في مائة من المسلمين، فهربوا، و عاد علي إلى المدينة، و لم يكن مواجهة .

46- سرية عبدالله بن رواحة في ثلاثين رجلا إلى أسير بن زارم اليهودي بخيبر، وهو الذي حرض غطفان على حرب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، فقتل أسير هو ومن معه .

47- سرية عمرو بن أمية الضمري، و معه مسلمة بن أسلم إلى مكة سنة 6هـ إلى أبي سفيان لعلهم يصيبون منه غرة، فيقتلانه جزاء على بعثه إلى المدينة من يقتل النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فعرفهما معاوية، فعادا إلى المدينة.

[عمرة القضاء في ذي القعدة سنة 7هـ]

صدت قريش رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم و المسلمين الذين كانوا معه في الحديبية، ثم وقعت الهدنة، وتم الصلح بين النبي صلى الله عليه وآله وسلم و قريش .

و كان من بنود الصلح أن يرجع النبي ﷺ في سنته تلك ، و يعود هو و أصحابه لزيارة البيت في السنة المقبلة ؛ فعلى هذا الاتفاق خرج النبي ﷺ و المسلمون ممن صد معه عن البيت، و سميت هذه عمرة القضاء، لأن النبي ﷺ قاضى قريشاً عليها ، أي أنه أعتمر حسب الاتفاق بينه ﷺ و بين قريش لا لأن عمرة الحديبية فسدت، و هذه قضاء لها ، وعمره أربع بالاتفاق ، عمرة الحديبية، و عمرة القضاء، و عمرة الجعرانة عند عودته من حصار الطائف، و كل هذه الثلاث كانت في شهر ذي القعدة و العمرة الرابعة هي التي قرنها ﷺ مع حجه، فعلى حسب هذا الاتفاق تكون عمرة الحديبية تامة.

و لما علمت قريش بقدوم النبي ﷺ للعمرة –عمرة القضاء- خرجت عن

مكة إلى رؤوس الجبال، و تحدثت قريش بينها أن محمداً ﷺ و أصحابه قد أضعفتهم حمى يثرب، و وقفت قريش بحيث تنظر إلى المسلمين، فلما دخل النبي ﷺ اضطبع بردائه – أي أدخل الرداء تحت إبطه الأيمن، و غطى به الايسر – و أخرج عضده اليمنى، ثم قال: رحم أمراء أراهم اليوم من نفسه قوة، ثم استلم الركن، و خرج يهرول، و يهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت من قريش، و ذلك حين يستلم الركن اليماني مشى حتى يستلم الركن الأسود، ثم يهرول كذلك في الثلاثة الطوافات الأولى ، و مشى في سائر الطوافات، وعلى هذه الصفة فعل رسول الله ﷺ في حجة الوداع في أول طواف فقط، فمضت بذلك السنة ، و في اليوم الثالث سألت قريش النبي ﷺ أن يخرج من مكة حسب الاتفاق بين الطرفين في صلح الحديبية ، فخرج النبي ﷺ من مكة ، و تزوج النبي ﷺ بعد إحلاله من العمرة بميونة بنت الحارث الهلالية، و بنى بها بسرف – موضع عند التنعم- و بهذا الموضع ماتت رحمة الله عليها .

و قبرها في ذلك المكان معروف، عليه بناء، و هو على جانب خط السيارات من مكة إلى المدينة ، و لتراب قبرها رائحة زكية ينفح ذكاها إلى خارج البناء ، هكذا وجدت عند زيارتي لها رحمة الله عليها .

فكانت هذه العمرة تصديقا لرؤيا رسول الله ﷺ التي حدث بها أصحابه عند الخروج إلى الحديبية ، وقد تحدث الله تعالى عن ذلك في أخر سورة الفتح، فقال سبحانه: ((لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله أمنين محلقين رؤوسكم و مقصرين لا تخافون فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا)).

[صحابة رسول الله ﷺ]

ينقسم صحابة رسول الله ﷺ إلى قسمين: المهاجرين، و الأنصار.

1- المهاجرون ، و هم الذين امنوا ، و صدقوا بمحمد ﷺ في مكة قبل الهجرة، ثم هاجروا إلى المدينة .
2- الأنصار ، هم أهل المدينة الذين أمنوا بالنبي ﷺ ، و صدقوه، و آووه، و نصروه .

- كان للأنصار دور كبير في انتصار الإسلام، و قيام كيانه، و قوة سلطانه .

أما المهاجرون فدورهم ضعيف على الجملة، و لو لا دور علي الفعال و حمزة لم يكد يذكر المهاجرون.

و الدليل على ما ذكرنا أن يوم أحد كان أشد يوم على المسلمين، و أشد هجمة

واجهها المسلمون من المشركين، فكان مجموع قتلى المسلمين سبعين قتيلاً، و الجرحى كثير، منهم النبي، فقد أصيب يومئذ بجراحات ، فقتل من الأنصار ستة و ستون قتيلاً، و لم يقتل من المهاجرين إلا أربعة: حمزة، و مصعب بن عمير، و رجل من بني مخزوم، و أخر حليف لبني أمية ، فتبين لنا بذلك أن الأنصار هم أهل العناية في الحروب، و أنهم هم وقودها ، دون المهاجرين، اللهم إلاعدة قليلة، مثل علي، و حمزة، و عبيدة، و مصعب .

- بل إن أكثر المهاجرين و عظمائهم فروا يوم أحد، و على رأس ألفارين أبو بكر و عمر و عثمان.

و الدليل على ذلك أن الذين ثبتوا عند النبي ﷺ ، ولم يفروا، قتلوا، أو جرحوا، فلم يسلم أحد من القتل، أو الجراحة، فالنبي ﷺ أصيب بعدة جراحات بالغة ، و علي بعدة جراحات، و كسرت إحدى زنديه، و قتل حمزة، و مصعب، و العشرات ممن ثبت و لم يخرج أحد ممن ثبت في المعركة سالما .

و أما أبو بكر و عمر و عثمان و غيرهم ممن فروا، فسلموا من كل ذلك، وعلى الجملة فالخلفاء الثلاثة، و من كان على شالكتهم من المهاجرين ليس لهم أي دور في جهاد المشركين، و رفع راية الإسلام، فعلى هذا فقد ذهب بفضل الجهاد و رفع راية الإسلام و توسيع دائرته غيرهم، و هم من ذكرنا، وللأنصار بالإضافة إلى فضيلة الجهاد فضل إيواء النبي ﷺ ، و إيواء المهاجرين، و حمايتهم، و القيام بنفقاتهم حتى مدحهم الله تعالى على ذلك، فقال : ((و الذين تبؤوا الدار و الإيمان يحبون من هاجر إليهم و لا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم و لو كان بهم خصاصة ......)) و نحن لا ننكر فضل المهاجرين ففضل المهاجرين

و على رأسهم أبو بكر و عمر و عثمان لاينكر، فلهم فضل الإيمان، و الإسلام، و الهجرة، إلا أنهم قد فاتهم فضل الجهاد و النصرة، فذهب به غيرهم .

في سيرة بن هشام قال عمار بن ياسر و هو يعمل في مسجد النبي ﷺ و قد اثقلوه بحمل اللبن : قتلوني يا رسول الله ، قالت أم سلمة: فرأيت رسول الله ﷺ ينفض فروة عمار بيده، و كان رجلا جعدا، و هو يقول: ويحك يا بن سمية ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية.

و ارتجز علي بن ابي طالب يومئذ:

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائما و قاعد

و من يرى عن التراب حائدا ....الخ

فأخذها عمار، و جعل يرتجز بها ، فظن عثمان بن عفان أنه إنما يعرض به، فقال : قد سمعت ما تقول منذ اليوم يا بن سمية، والله إني لأراني سأعرض هذه العصى لأنفك ، و في يده عصى، قال : فغضب رسول الله ﷺ ، ثم قال : ((ما لهم ولعمار يدعوهم إلى الجنة و يدعونه إلى النار، إن عماراً جلدة ما بين عيني و أنفي، فإذا بلغ ذلك من الرجل فلم يستبق فاجتنبوه أ.هـ.

[غزوة مؤتة]

كانت في جمادى الأول سنة ثمان من الهجرة .

بعث رسول الله ﷺ ثلاثة آلاف رجل من المسلمين، و استعمل عليهم جعفر بن ابي طالب، فإن أصيب فزيد بن حارثة، فإن أصيب فعبدالله بن رواحة، فودعوا رسول الله ﷺ ، وودعهم ، و ودعهم المسلمون، فمضوا حتى إذا بلغوا مكاناً من أرض الشام بلغهم أن هرقل قد نزل أرض البلغاء في مائة ألف، و إنضم إليهم مائة ألف من لخم و جذام و القين و بهراء و بلاء -قبائل عربية- عند ذلك غير المسلمون في أمرهم ، و جعلوا ينظرون في ما يعملون، فقال بعضهم : نكتب إلى الرسول ﷺ بعدد عدونا ، ثم يأمرنا بأمره ، فشجع الناس عبدالله بن رواحة، و مما قال لهم : وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة و لا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانطلقوا، فإنما هي إحدى الحسنيين، إما_ظهورٌ ، وإما شهادة، فقال الناس : صدق والله بن رواحة ، فمضى الناس حتى إذا كانوا بنخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل من الروم و العرب، فالتقى الفريقان عند قرية يقال لها: مؤتة، فتعبئا المسلمون للقتال، و اشتبك الجيشان، و قاتل جعفر على فرسه، حتى إذا اشتد القتال اقتحم عن فرسه، وعقرها، فقاتل راجلا حتى قتل بعد أن قطعت يمينه، ثم قطعت شماله، و احتضن اللواء بيمينه ، ثم أخذ اللواء زيد بن حارثة فقاتل حتى مزقته رماح القوم ثم أخذ اللواء عبدالله بن رواحة، فقاتل حتى قتل، و كان خالد بن الوليد قد أسلم في هذه السنة، و كان حاضرا، فاصطلح المسلمون على أن يعطوا الراية خالداً، فأخذها ، و جانب بالمسلمين، و إنحاز قليلا قليلا حتى انصرف بهم عن المواجهة ، وكان النبي ﷺ وقت المعركة على المنبر في المدينة المنورة، يحكي ما يحدث في تلك المعركة، فيقول : ((أخذ الراية جعفر، فقاتل بها حتى قتل، ثم أخذ الراية زيد بن حارثة، فقاتل بها حتى قتل، ثم سكت ﷺ حتى تغيرت وجوه الأنصار لظنهم أن عبدالله بن رواحة قد قصر فيما أوكل إليه، ثم قال ﷺ : ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة، فقاتل بها حتى قتل شهيدا .

بعد ذلك دخل رسول الله ﷺ بيت جعفر، و قال لأسماء زوجة جعفر إأتني ببني جعفر، فأتت بهم، فجعل يلثمهم، و يشمهم، وذرفت عيناه ، وأخبرها بمصاب القوم ، و أمر أهله بأن يصنعوا لآل جعفر طعاما.

[فتح مكة في شهر رمضان الكريم سنة ثمان هـ]

كان فتح مكة أعظم انتصار للإسلام و رسول الإسلام ﷺ ، لأن أهل مكة -قريشا- أكبر عدو للإسلام، و نبي الإسلام، و لم يلق ﷺ من أحد مثل ما لقي من قريش، فقد لقي منهم ﷺ في مكة قبل الهجرة من الأذى ما لا يوصف، و عذبوا أصحابه الذين أمنوا به، و صدقوه، منهم ياسر و سمية أبوي عمار بن ياسر، رضوان الله عليهم .

و بعد هجرة الرسول ﷺ و المسلمين إلى المدينة شمرت قريش لحربه ﷺ، فحاربته يوم بدر، ثم يوم أحد، ثم يوم الخندق، و هذه الثلاث المواجهات مع قريش هي أعظم المواجهات، و أشدها، و أكبرها على المسلمين و نبيهم ﷺ .

وكانت قريش لشقاوتها شديدة الحقد و العداوة و الحسد للنبي ﷺ ، مع ما في غرائزها من وفورة الكبر و التعاظم و العصبية و حمية الجاهلية ؛ و قد كانت قريش في ذلك درجات ، فكان بنو أمية بقيادة أبي سفيان في الدرجة العليا، و يليهم في ذلك بنو مخزوم بقيادة أبي جهل بن هشام، و قد جاء في التفاسير المأثورة: أن المراد بالشجرة الملعونة في القرآن بنو

أمية ، و قيل بنو أمية و بنو مخزوم، و تأتي قبائل قريش في الدرجة الثالثة بعد هاتين القبيلتين .

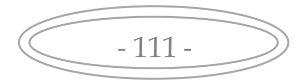
لذلك كانت قريش أشد أعدا نبي الإسلام ﷺ ، و أكبر، و أقوى من من وقف في وجه دعوته ﷺ بالسنان و اللسان و الجنان و الأركان، فسعت في هلاك النبي ﷺ بكل جد، و أجلبت لحربه بخيلها و رجلها، و سلكت للوصول إلى ذلك كل سبيل، و أعملت في ذلك كل حيلة ، و تحالفت مع اليهود و مع ثقيف و غطفان و قبائل نجد، فخيب الله تعالى أمل قريش، و قطع رجائها، و ضيع سعيها، و أعز الله تعالى نبيه ﷺ و دينه، و أعلا كعبه و اتسعت دارة سلطانه، و عظمت هيبته ، فاضطرت قريش مع عظيم كبريائها إلى مصالحته يوم الحديبية، فتم الصلح بين الفريقين على شروط قد سبقت ، وكان بنو بكر بن عبد مناف من كنانة قد انضمت في ذلك الصلح إلى قريش، قالوا: وانضمت خزاعة إلى صف النبي ﷺ و المسلمين ، فمضى على هذا الصلح ما يقارب السنتين، لم يصدر من أي من الطرفين ما يخل بشرط من شروطه التي يعتبر الإخلال بأي منها نقضاً للصلح ثم إن بني بكر عدت على خزاعة، وهي غارة، فقتلت فيها ، وأعانتهم قريش بالسلاح خفية .

فجاءت خزاعة تخبر النبي ﷺ بما فعلت قريش، وقال شاعرهم عمرو بن سالم الخزاعي للنبي ﷺ و هو جالس في المسجد بين ظهراني الناس:

يا رب إني ناشد محمدا   حلف أبينا و أبيه الأتلدا

......إلى قوله   إن قريشا أخلفوك الموعدا

و نقضوا ميثاقك المؤكدا   و جعلوا لي في كداء رصدا



هم بيتونا بالوتير هجدا   و قتلونا ركعا و سجدا

فقال ﷺ : ((نصرت يا عمرو بن سالم))، ثم خافت قريش من ما فعلت من الإخلال بالصلح، فركب أبو سفيان، و توجه إلى النبي ﷺ ، ليشد العهد، و يؤكد الصلح، و يهدئ الوضع، فوصل المدينة، و كلم الرسول ﷺ ، فلم يرد عليه شيئا ، و كلم عليا فلم يجد عنده ما يريد، فكلم فاطمة، فلم يجد ما يريد، فسأل عليا بالرحم و استنصحه، فقال له علي عليه السلام : والله لا أعلم لك شيئاً، و لكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس، ثم ألحق بأرضك، فقال : و هل ينفعني ذلك؟ قال علي : لا، و لكني لا أجد لك غير ذلك ، فمضى أبو سفيان و قال ذلك، ثم قفل راجعا إلى مكة .

[فتح مكة]

ثم تجهز رسول الله ﷺ لفتح مكة، وأعدوا واستعدوا لفتحها، وحشدوا جيوش المسلمين، ثم خرج بالجيوش إلى مكة، وقال ﷺ : ((اللهم خذ العيون و الأخبار عن قريش حتى نباغتهم في بلادهم)).

فكتب حاطب بن أبي بلتعة -و هو رجل من أهل بدر – إلى قريش، يخبرهم بسير رسول الله ﷺ بجيوشه لفتح مكة، وأعطى كتابه امرأة تسمى سارة ،وهي مولاة لبعض بني عبد المطلب ، فأتى النبي ﷺ الخبر من السماء بذلك ، فأرسل النبي ﷺ في أثرها علي بن أبي طالب عليه السلام و الزبير بن العوام، فأخذ منها ذلك الكتاب بعد التهديد والوعيد، فعاد بالكتاب إلى النبي ﷺ ، فقال ﷺ لحاطب :(ما حملك على ما صنعت ؟ فقال حاطب : ما غيرت يا رسول الله، ولا بدلت غير أن لي في مكة أهلاً وولداً، فاردات أن أتخذ عندهم معروفا، يجازونني به في أهلي وولدي ، فأنزل الله تعالى في

ذلك سورة الممتحنة إلا قليلا في آخرها ((يا أيها الذين أمنوا لا تتخذوا عدوي و عدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ......)).

و لقي رسول الله ﷺ في طريقه بن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب و ابن عمته عبدالله بن أمية بن المغيرة، فأسلما، قال بن هشام: ولقي النبي ﷺ في الطريق أيضا عمه العباس بن عبد المطلب مهاجرا بعياله، وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقاية الحجاج، ورسول الله ﷺ عنه راضٍ في ما ذكر ابن شهاب الزهري أ.هـ .

وقد كان ذلك الجيش عشرة آلاف رجل، فأيقن العباس أنه هلاك قريش، فخرج العباس على بغلة رسول الله ﷺ لينذر أبا سفيان و قريشا بالهلاك إن لم يسلموا ، فرأى في طريقه أبا سفيان بن حرب سيد قريش، فحذره بقطع رقبته إن لم يسلم، فحمله العباس على البغلة، وأتى به النبي ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : (أما آن لك يا أبا سفيان أن تعلم أن لا اله إلا الله؟ قال : بلى، ثم قال له ﷺ : أما آن لك أن تعلم أني رسول الله، فقال: أبو سفيان ما أحلمك وأوصلك، أما هذه فإن في النفس منها شيئاً، فقال له العباس : ويحك أسلم، واشهد إن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك، فشهد بذلك أبو سفيان، وهو كاره، فقال العباس: يا رسول الله إن أبا سفيان يحب الفخر، فاجعل له شيئا، قال ﷺ : نعم ، من دخل دار أبي سفيان فهو أمن، ومن أغلق بابه فهو أمن، و من دخل المسجد فهو أمن .

وأرادا النبي ﷺ أن يري أبا سفيان قوة الإسلام، فأمر العباس أن يحبس أبا سفيان عند مضيق جبل حتى تمر به تلك الجيوش ، فمرت به تلك الجيوش، وهو ينظر إليها، وكل ما مرت قبيلة قال: من هذه يا عباس؟ فيقول العباس: هذه بنو سليم، فيقول أبو سفيان :

مالي و لسليم ، فمر به المهاجرون و الأنصار، وفيهم رسول الله ﷺ ، فقال : من هؤلاء يا عباس؟ فقال : رسول الله ﷺ و المهاجرون و الأنصار، فقال : سبحان الله مالأحد بهؤلاء من طاقة والله لقد أصبح ملك بن أخيك اليوم عظيما)).

[غزوة بدر الكبرى]

كانت بدر في اليوم السابع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة النبوية..،

وهذه الغزوة أول غزوة التقى فيها جيش المسلمين بقيادة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وجيش قريش ، وقد أراد الله سبحانه وتعالى أن يذل في هذا اللقاء مشركي قريش المتكبرين، ويعز أولياءه المؤمنين، ويرفع من شأنهم ، ويجعل لهم مهابة ومكانة عند أعدائهم .

وقد حكى الله تعالى هذه الغزوة، وفصلها في سورة الأنفال ، ونحن ذاكروها على حسب ما جاء في سورة الأنفال من غير زيادة : وعد الله سبحانه نبيه ﷺ والمسلمين (المهاجرين والأنصار) الظفر بواحد من اثنين: إما عير قريش التي تعود من الشام بتجارات لقريش، وإما الظفر بجيش قريش الخارج من مكة بعدده الكثير البالغ ألف رجل تقريباً المباهي بكثرته وقوته الذي يرائي الناس بما هو فيه من العظمة والشدة ، وليس له غرض بعدما عرفوا اتجاه العير القادمة من الشام سوى البطر وعرض العضلات والشهرة بين الناس ،...،

وبناء على هذا الوعد الصادق خرج النبي ﷺ وخرج معه جماعة من

المهاجرين والأنصار لا يتجاوز عددهم ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، وهم يتمنون الظفر بتجارة قريش العائدة من الشام ، وليس لهم رغبة في مواجهة قريش، ثم الظفر بها، لما هم

فيه من الضعف وقلة العدد والعدة ، ولِمَا يعرفون من قوة جيش قريش وكثرة عدده وعدته ، لذلك كرهوا مواجهتها، وتمنوا الظفر بالغنيمة الباردة، ولضعف المسلمين فقد كان فريق من المؤمنين كارهين للخروج مع علمهم بقوة عدوهم وكثرته ، وقد وصف الله تعالى شدة كراهتهم بقوله : (كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون إلى الموت وهم ينظرون).

وكان جدالهم للنبي ﷺ من الجدال الذي يدل على كراهة مواجهة قريش نحو : نحن قله قليلة، وعلى غير استعداد لمواجهة مثل ذلك الجيش الكبير الخارج من مكة ، فلو أنك أخبرتنا لأعددنا من العدد والعدة ما يكفي ، وكان هذا ألفريق من المؤمنين غير مقتنعين بالرأي الذي عزم على مواجهة قريش، لما هم فيه من قلة العدد والعدة ، ورأوا أن الدخول في معركة مع جيش قريش الكبير غير نافع للإسلام، وأن نتيجته ستكون بلا شك في صالح قريش، وأن المسلمين لا يكسبون من هذه المواجهة إلا القتل المحقق ، وكان نظر هذه الطائفة المؤمنة صادراً على ما جرت به العادة في الحروب من غلبة القوي على الضعيف ، والكثير على القليل ، ولكن الله تعالى لحكمته وعلمه أراد أن يجعل في هذا اللقاء الذي هو اللقاء الأول بين المسلمين والمشركين تحقيق حكمه بإذلال متمردي قريش ومتكبريهم بالقتل والأسر والهزيمة الذليلة ، وأن يذيقهم في هذا اللقاء جزاء تكبرهم على الله ورسوله ﷺ ، وجزاء استهزائهم بالقرآن والرسول ﷺ ، وجزاء التكذيب والأذى والعذاب والشتم للنبي ﷺ والمسلمين، مع ما أراد سبحانه في هذا اللقاء من تحقيق الوعد الذي سبق من إعلاء كلمة الله وإعزاز النبي ﷺ والمسلمين ورفع شأنهم وهذا هو ما عبر الله تعالى عنه في قوله تعالى: (والله يريد أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين)، ولما ذكرناه سما الله تعالى يوم بدر : (يوم الفرقان يوم التقى الجمعان) ومعنى يوم الفرقان هو

يوم الحكم بين المسلمين و مشركي قريش، وحكم الله في هذا اليوم هو نصر الحق والمحقين، ورفع رايتهم، وإذلال الشرك والمشركين، وإسقاط عزتهم وكبريائهم .

وحين استيقن المؤمنون أنه لا بد من مواجهة قريش، وذلك حين حطوا رحالهم على جانب وادي بدر ، وقريش حطوا رحالهم على الجانب الآخر من الوادي ، وكانت عير قريش قد فاتتهم فهي في طريق الساحل، وبينهم وبينها مسافة طويلة ، وقد ذكر الله تعالى ذلك فقال : (إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب أسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا) .

فكان اجتماع الفريقين على جانب وادي بدر في وقت واحد اجتماعاً تولى الله تعالى تيسيره وتدبيره، ولم يكن بين الفريقين في ذلك أي وعد وحين استيقن المؤمنون المواجهة رفعوا أيديهم ومدوا أعناقهم يدعون الله ويستغيثون به، فرحمهم الله تعالى، واستجاب لهم فأمدهم بالملائكة التي في نزولها معهم ما يطمئن قلوبهم الخائفة، ويقلل من خوفها وفزعها، ويبعث في نفوسهم الأمل بالنصر، ويطرد عن قلوبهم اليأس المستولي عليها، وفي ذلك يقول الله تعالى: (وما جعله الله إلا بشرى لكم ولتطمئن به قلوبكم وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم).

ثم أرسل الله تعالى عليهم النوم الذي كان قد طرده الخوف والفزع ليرجع إلى قلوبهم الأمن والاطمئنان والسكينة ، وأنزل عليهم المطر ليتطهروا به من نجاسات البدن كالمني والجنابة والبول والغائط ، وليذهب عنهم به رجز الشيطان ، ورجزه هو وسواسه ، وقد قيل : إن المشركين كانوا قد غلبوا على الماء فكان المسلمون يصلون مجنبين ومحدثين مع ما لحقهم من الظمأ، فوسوس إليهم الشيطان بسبب ذلك قائلاً لو كنتم على الحق وقريش على الباطل لما كنتم على هذه الحالة السيئة وقريش في حالة حسنة...

وفي النعاس ونزول المطر الذي يطهر البدن ما يبعث على نشاط القلب وقوته وشدته ، وفي نزول المطر أيضا على الرمال التي نزل عليها المسلمون ما جعلها صالحة للقتال عليها ، لأن المشي والجري على الرمال صعب ومتعسر والمطر يلبدها ويمسكها .

[نزول الملائكة يوم بدر]

نزلت الملائكة يوم بدر بعدما استغاث المسلمون بربهم، وسألوه النصر والمعونة، فأمدهم تعالى بألف من الملائكة ، وأوحى تعالى إلى الملائكة بأن ثبتوا المؤمنين في القتال، وشجعوهم على الإقدام ، ثم أخبر تعالى بأنه سيلقي في قلوب المشركين الخوف والرعب ، ثم أمر الله تعالى المسلمين بأن يضربوا المشركين بسيوفهم رؤوس المشركين وأعناقهم وأيديهم وبنانهم ، ثم أخبر تعالى بأن المشركين استحقوا ذلك بسبب عداوتهم لله ولرسوله ﷺ وجدهم في طمس الدين وألفتك بالنبي ﷺ وسعيهم وتشميرهم في حرب النبي ﷺ ودينه ، فكان ذلك جزاءاً للذي يعادي ربه ويشاققه ، هذا جزاء عاجل في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم .

[هل قاتلت الملائكة يوم بدر؟]

الذي أميل إليه أن الملائكة لم تقاتل يوم بدر، وذلك لأن كتب السير التي تحدثت عن يوم بدر ذكرت أسماء القتلى من المشركين واسم القاتل لكل

واحد منهم وأسماء أسراهم واسم من أسر كل واحد منهم.

وقوله تعالى(إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان) الأمر فيه بالضرب فوق أعناق المشركين وضرب بنانهم هو أمر للمسلمين لا للملائكة بدليل أن الله تعالى رتب الأمر بذلك بالفاء على قوله تعالى: سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب مما يدل على أن العلم بخوف العدو ورعبه وشدة فزعه يتسبب في الإقدام على ضربه والشجاعة على مواجهته ، والملائكة صلوات الله عليهم لا يحتاجون لمثل ذلك التشجيع لقوتهم وعلمهم بالسلامة.

قوله تعالى(هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار....)

اتفقت الروايات السنية والشيعية على أن هذه الآية نزلت في الثلاثة الذين خرجوا من صف المشركين وطلبوا من المسلمين البراز، وهم: عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وأخوه شيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة بن ربيعة، فبرز إليهم من صف المسلمين ثلاثة علي بن أبي طالب وحمزة بن عبد المطلب وعبيدة بن الحارث ين عبد المطلب ، فقتل علي قرنه الوليد وقتل حمزة قرنه شيبة ، وضرب كل من عبيدة وعتبة صاحبه ، فعطف علي وحمزة على عتبة، فخبطاه بأسيافهما حتى همد، وكان قد أصيب بجراحة مثخنة من عبيدة ، وحمل علي وحمزة صاحبهما عبيدة وقد أصيب بضربة مثخنة أدت أخيراً إلى وفاته رحمة الله عليه.

و اتفقت المصادر التاريخية على أن قتلى قريش بلغوا سبعين قتيلاً، وإن أسراهم بلغوا سبعين أسيراً، وإن قريشاً هزمت في هذه الوقعة هزيمة قبيحة، واتفقت المصادر أيضا على أن قتلى المسلمين في هذه المعركة كانوا ثمانية.

وقد قتل في هذه المعركة الكثير من شياطين قريش وجبابرتها، منهم الثلاثة الذين ذكرناهم وهم عتبة وشيبة والوليد، ومنهم أبو جهل، وأبي بن خلف، وعقبة بن أبي معيط .

قوله تعالى في نصر الله للمسلمين يوم بدر على قريش: (فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى....إلى آخر الآيات)

المعنى المقصود من هذه الآية التذكير للمسلمين بنعمته عليهم وعظيم فضله وإحسانه إليهم بتوفيره للمسلمين أسباب النصر ، فأعطاهم قبل الدخول في المعركة البشرى بنزول الملائكة، وطمأن قلوبهم الوجلة، وثبت أقدامهم بالملائكة، وغشاهم النعاس الذي تعقبه الطمأنينة والسكينة ، ويذهب بسببه الوجل والخوف والقلق ، و القى سبحانه الرعب في قلوب المشركين .

ومن أسباب النصر أيضا أن المسلمين حين رأوا جموع قريش يوم بدر يرونهم قليلاً، المقل يقول: هم سبعون، والمكثر يقول: مائة ، وهم في الحقيقة والواقع ألف رجل ، وكان المشركون يرون المسلمين قليلاً أيضاً، وتماما كما قال سبحانه وتعالى: (وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلاً ويقللكم في أعينهم ليقضي أمراً كان مفعولاً).

وكما قال عز وجل: (إذ يريكهم الله في منامك قليلاً ولو أراكهم كثيراً لفشلتم ...الآية)

فلما ذكرنا من أن الله تعالى هو الذي وفر أسباب النصر للمسلمين يوم بدر، وأسباب هزيمة قريش، ولولا ذلك لما انتصر المسلمون، ولألحق بهم المشركون الهزيمة ، فلذلك يذكر الله المسلمين بهذا ألفضل العظيم فيقول : إنكم أيها المسلمون لم تقتلوا المشركين في بدر، ولم تلحقوا بهم الهزيمة والخزي والأسر بقوتكم لأنكم قلة قليلة وفئة ذليلة لا تقوى على هزيمة جيش قريش الكامل العدد والعدة، ولكن الله تعالى بفضله عليكم هو الذي قتلهم، وهزمهم بسبب ما وفر لكم من أسباب النصر على جيش قريش وأسباب هزيمتهم ، ولولا ما وفره لكم لما حصل ما حصل من نصركم وهزيمة قريش، لذلك فإنه تعالى هو الذي قتلهم ..،

جاء في أخبار يوم بدر أن النبي ﷺ أخذ حفنة من تراب فرمى بها قريشاً فأصاب برميته تلك عيون ذلك الجيش، فأخبر الله تعالى أنه هو الذي تولى إيصالها إلى عين كل واحد من أهل ذلك الجيش..،

[شبهة]

قد تستدل القدرية بهذه الآية على أن الله تعالى هو الذي خلق أفعال العباد ، والآية كما ذكرنا نزلت للتذكير بنعمة الله على المسلمين في يوم بدر، فالقتل والهزيمة والأسر لم يحصل بقوة المسلمين، وإنما حصل بقوة الله وقدرته ، فإنه تعالى هو الذي جمع بين المشركين يوم بدر بإرادته وقوته من غير أن يكون للفريقين أي سبب في الاجتماع، وهو تعالى الذي جعل بقدرته المشركين قليلاً في أعين المسلمين وجعل المسلمين قليلاً في أعين المشركين، وهو تعالى بقدرته الذي ألقى الرعب والخوف في قلوب المشركين، وشجع بقدرته قلوب المسلمين، وثبت بمشيئته أقدامهم، وطمأنهم ببشرى النصر والظفر، وبنزول الملائكة، وبالمطر، والنعاس، فبسبب ذلك كله تمكن المسلمون من قتل المشركين، وهزيمتهم، وأسر الكثير منهم ، والله تعالى هو الذي وفر لهم أسباب ذلك كله ، فذكر الله تعالى المسلمين بهذه الآية لئلا يعجبوا بأنفسهم لما فعلوا في بدر من القتل والأسر والظفر، ولئلا يغتروا بذلك ، فإن النفوس البشرية بطبيعتها تميل إلى العجب، ويداخلها الغرور، فأراد سبحانه أن يكونوا على ذكر بنعمة الله عليهم يوم بدر، وأن النصر والظفر كان من عنده، ولزيادة ألفهم نضرب مثلا(ولله المثل الأعلى) رجل ضعيف قتل ابنه ظلماً وهو يحب، ويرغب في قتل قاتله، ولكنه ضعيف غير متمكن فجاء إليه رجل قوي له قدرة وتمكن، فقال: أنا أوفر لك الأسباب، وأسهل لك الوصول إلى قتله من غير مضرة تلحقك، فقال: نعم جزاك الله خيراً، فأعطاه سيفاً صارماً، وحمله إلى مكان وأمره بالوقوف فيه حتى يأتيهم، فذهب الرجل إلى القاتل

وقيده وغل يديه إلى عنقه وحمله معه إلى ذلك المكان الذي أمر الضعيف بالوقوف فيه، ثم وضعه بين يدي الضعيف، وقال له: اضرب رأس قاتل أبيك فضربه، وقتله..، ولو كان الأمر كما تقوله القدرية من أن الله تعالى هو الذي خلق أفعال العباد، وأنه هو الذي قتل المشركين ، لما كان لنزول الملائكة والمطر وتثبيت القلوب و الإقدام وإلقاء الرعب في قلوب المشركين ورؤية كل من الفريقين لصاحبه قليلاً لما كان لكل ذلك فائدة ، لأن الله تعالى على كل شيء قدير لا يحتاج تعالى فيما يخلق لا توفير أسباب ومقدمات وإنما يحتاج إلى مثل ذلك المخلوق الضعيف .

[أسرا بدر]

بلغ عدد أسرا بدر سبعين أسيراً رجع بهم المسلمون إلى المدينة، ولم يكن نزل يومئذ شيء من القرآن بشأن الأسرى وكيف يصنع بهم المسلمون ، وكان النبي ﷺ يشاور الصحابة فيما لم ينزل فيه شيء فشاور ﷺ الصحابة في شأن الأسرى، فأشار بعضهم بقتلهم وأشار الأكثر منهم بالفداء بأن يدفع أهل الأسير مبلغاً من المال في مقابل أطلاق الأسير، ومال المسلمون إلا القليل منهم إلى هذا الرأي، لما هم فيه من ألفقر والحاجة ، وكان ﷺ عظيم الرأفة والرحمة والشفقة بالمسلمين، يوافقهم فيما يرغبون، ويعطيهم ما يسألون، ما لم يكن فيه إثم ومعصية ، فلما رأى النبي ﷺ رغبتهم إلا القليل في ألفداء وميلهم إليه ومحبتهم له لما هم فيه من ألفقر والحاجة رق لهم، ونزل عند رغبتهم، لأنه لم ينزل عليه ﷺ قرآن يحرم ألفداء لذلك نزل عند رغبتهم .

وكان فداء الأسير خاصاً بالذي أسره، لا يشاركه فيه غيره ، فلم يأخذ النبي ﷺ شيئاً في ألفداء، لأنه لم يكن له أسير، ولم يرو أنهم خمسوا ألفداء فنزل قوله تعالى: (ما كان لنبيئ

أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فكلوا مما غنمتم حلالا طيباً ...الآية) فنبه الله تعالى بذلك المسلمين ليعرفوا خطأهم، وأنه كان الأولى بهم و الأجدر أن يقتلوا أسراهم، وأن لا يختاروا ألفداء الذي هو منفعة عاجلة دنيوية على المصلحة الدينية التي هي إعزاز الإسلام وأهله وإذلال الشرك وأهله ، وأنه ما كان ينبغي أن يحصل مثلما فعلتم من فداء الإسراء إلا بعد أن يذل الشرك والمشركون بكثرة القتل فيهم وألفتك بهم .. ، ولو كان الله تعالى قد تقدم إليكم بالنهي عن أخذ ألفداء ثم أخذتموه بعد النهي وعصيتموه لعذبكم ، ولكنه تعالى لم يؤاخذكم على ما فعلتم لأنه تعالى لا يؤاخذ أحداً بذنب إلا بعد أن ينهاه ويحذره، ولذا قال تعالى: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)، وقال سبحانه : (وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون).

فالصحابة هم الذين أخذوا ألفداء دون النبي ﷺ ، وقد كان النبي ﷺ يشاور أصحابه فيما لم ينزل فيه شيء، فشاور النبي ﷺ أصحابه في أسرى بدر، فأشار كلهم تقريباً في أخذ ألفداء، فوافقهم ﷺ ، ونزل عند رغبتهم، وكان شديد الشفقة والرحمة بهم، وكانت عادته وسنته ﷺ الموافقة لأصحابه في رأيهم، ولو كان رأيهم خلاف الآية، إذا لم يكن هناك في القضية حكم من الله ، ألا ترى أنه ﷺ وافقهم في غزوة أحد في الخروج من المدينة، فخرج منها وهو كاره للخروج نزولاً عند رغبة أصحابه ، وحينئذ فالنبي ﷺ بريء من اللوم الذي جاءت به الآية السابقة، وهو خاص بالذين أخذوا ألفداء.،.يوضح ذلك قوله تعالى في نفس الآية : (تريدون عرض الدنيا و الله يريد الآخرة) والنبي ﷺ لم يأخذ فداء لأنه لم يكن معه أسير ، ومن المعلوم أن النبي ﷺ لم يرد الدنيا، ولم يطلبها، ولم يلتفت إليها، وأن أنبياء الله منزهون عن ذلك، يكرهون ما كره الله ويحبون ما أحبه.

وهو ﷺ غير مذموم في موافقة أصحابه الذين رغبوا في أخذ ألفداء ، واللوم هو متوجه إليهم وحدهم لأجل رغبتهم في المال ومحبتهم له .

وفي هذه الغزوة أعلى الله تعالى كعب نبيه ﷺ ، فعظمت هيبته ، وانتشر صيته ، وفيها شفى الله تعالى غيظ النبي ﷺ بقتل ألد أعدائه وأعداء دينه وفيها لمع نجم علي بن أبي طالب حيث قتل في هذه المعركة ما يقارب نصف قتلى قريش .

[غزوة حنين]

ذكر الله تعالى غزوة حنين في القرآن الكريم فقال سبحانه وتعالى : ((ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلن تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين ثم أنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنوداً لم تروها وعذب الذين كفروا ...الآية))

كان جيش المسلمين في غزوة حنين اثنتي عشر ألفاً منهم ألفان من الطلقاء (مسلمة الفتح) فأعجب المسلمون بهذه الكثرة الكاثرة وظنوا أنهم بسبب هذه الكثرة سيحققون ما شاؤوا من الإنتصارات وأنهم سيبلغون بسببها ما يتمنونه من الغلبة والسلطان ، ونسوا أن نصر الله للمسلمين لم يكن بسبب الكثرة ولا بسبب القوة حتى قال أبو بكر يومئذ : لن نهزم اليوم من قلة .

فركنوا إلى كثرتهم وقوة عدتهم ونسوا الإلتجاء إلى الله والإستغاثة به والدعاء له ، فوكلهم الله إلى ما ركنوا إليه من كثرتهم وقوتهم .

فلما وصل الجيش المعجب بكثرته إلى وادي حنين خرجت عليهم كمائن العدو ففزعوا وانهارت قواهم من شدة الخوف وولوا الأدبار هاربين لا يلوون على شيء وتركوا نبيهم ﷺ في

نفر من بني هاشم ومواليهم منهم علي والعباس ، فثبت النبي ﷺ والنفر الذين معه وأنزل الله عليهم السكينة وأمدهم بجنود من عنده وأعطاهم النصر والظفر ، ولم ترجع بعض فولول المسلمين المنهزمين إلا بعد أن نصر الله نبيه ﷺ والنفر المؤمنين الذين ثبتوا معه ، وقتل من المشركين في هذه الغزوة أعداد كثيرة ثم ولوا الأدبار هاربين وتركوا نساءهم وأموالهم فأخذها المسلمون غنيمة .

فقسم رسول الله ﷺ السبايا من نساء ثقيف بين الغانمين وأعطى أبا سفيان مائة من الإبل وأعطا إبنيه يزيد ومعاوية كل واحد مائة ، وهكذا صنع لعيون قريش ولآخرين من أهل القلوب المريضة ليتألفهم ﷺ وليداوي بذلك العطاء الوافر داء قلوبهم وليدفن به أحقادهم وضغائن قلوبهم ، وقال له ﷺ قائل حين رأى ما رأى من عطاء النبي ﷺ : إعدل يا محمد، فقال ﷺ ومن يعدل إذا لم أعدل ، ثم قال ﷺ بعدما أدبر الرجل كلاماً معناه: سيخرج من هذا أقوام يقرؤن القرآن لا يتجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .

ثم جاء إلى النبي ﷺ وفد ثقيف يستعطفونه على رد ما أخذ من نساءهم وغنم من أموالهم فخيرهم بين النساء والأموال فاختاروا أن يرد عليهم النساء ، فردها المسلمون بعد أن استطاب النبي ﷺ نفوسهم .

[فوائد :]

1- أن للصحابة بجانب حسناتهم سيئات ذمهم الله تعالى عليها كما مدحهم على حسناتهم في آيات أخرى .
2- أن صحبتهم للنبي ﷺ لا تدفع ولا تمنع من ذكر أعمالهم السيئة .
3- الإيمان بالآيات التي ذمهم الله فيها واجب ، وهكذا آيات المدح والثناء.
4- أن في الصحابة الكثير من المؤلفة قلوبهم .
5- أن أول ظهور الخوارج كان من بين صف الصحابة.

[حجة الوداع]

نزلت فريضة الحج في السنة السادسة من الهجرة ، وقد كانت عادته ﷺ إذا نزل عليه أمر أن يبادر إلى امتثاله من غير تأخر ، ولكنه حين نزلت فريضة الحج أخر الإمتثال إلى السنة العاشرة للهجرة ، وقد ذكر العلماء بعض الأسباب التي دعت النبي ﷺ إلى تأخير الحج:

1- فقيل : السبب هو أن الحج في السنين التي قبل السنة العاشرة كان في غير وقته ، وذلك بسبب النسيء الذي صنعه المشركون ، والنبي ﷺ لا يرضى ولا يحب أن يحج في غير وقت الحج .
2- وقيل : السبب أن المشركين فيما قبل السنة العاشرة كانوا يحجون البيت الحرام وكانوا يطوفون بالبيت وهم عراة ، فكره النبي ﷺ أن يختلط بهم ويصحبهم في هذه العبادة العظيمة .

[البعث بالبراءة]

قبل حجة الوداع بسنة أي في السنة التاسعة بعث النبي ﷺ أبا بكر بأول سورة براءة ليقرأها على أهل موسم الحج فلما خرج أبو بكر من المدينة نزل جبريل على النبي ﷺ وقال : لا ينبغي أن يبلغ المشركين سورة براءة إلا أنت أو رجل منك، فدعا النبي ﷺ علياً أن يلحق أبا بكر ويأخذ منه براءة ويبلغها هو على أهل الموسم ، فمضى علي عليه السلام وأخذ براءة من أبي بكر وأدى ما عهد إليه النبي ﷺ من البلاغ إلى المشركين ، فكان علي عليه السلام ينادي في جموع الحجيج أيام منى .

ومن جملة ما بلغه إلى أهل الموسم:

أنه لا يحجن بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ،ومن كان له من المشركين عهد مع الرسول ﷺ فعهده إلى مدته ، ومن لم يكن له مع النبي ﷺ عهد فله أربعة أشهر يذهب ويجيء فيها ، وبعدها لا أمان له إلا بالإسلام .

ثم بعد عام من تبليغ هذا البلاغ إلى المشركين أعلن إلى جميع المسلمين في المدينة وخارج المدينة أنه سيحج هذا العام ، وأراد ﷺ بهذا الإعلان أن يحج معه ما أمكن من المسلمين ليعرفوا مناسك حجهم من أولها إلى آخرها معرفة مستحكمة، فخرج للحج جموع كثيرة من شتى البلدان الإسلامية في الجزيرة العربيه ليأتموا بالنبي ﷺ في الحج ، فحج النبي ﷺ والمسلمون وأمرهم أن يتعلموا من أفعاله ومن أقواله ، فقال لهم : (أيها الناس خذوا عني مناسككم) ، وكان يكرر عليهم التعليم بالقول، فعلمهم ﷺ مناسك حجهم يوم التروية في مكة ، ثم كرر عليهم التعليم في عرفة بعد صلاة الظهر والعصر، ثم علمهم مناسكهم في يوم النحر ، وكان هذا التعليم عاماً لجميع الحجاج ، وكان مع ذلك يجيب على المستفتين ويرشد الجاهلين .

وقد ركز النبي ﷺ في حجه هذا – زيادة على تعليم المسلمين مناسك حجهم – على الوصية بكتاب الله تعالى وبأهل بيته ، فقال في خطبة يوم عرفة : ((إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض))

ونادى النبي ﷺ في بعض خطبه بإهدار دماء الجاهلية وبوضع الربا، وبتحريم دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم ، وبغير ذلك من معالم الإسلام وشرائعه العظيمة ، صلى الله عليه وعلى آله وسلم .

فمن هنا استحكمت معرفة المسلمين مناسك حجهم ، وشعائره ، ووقته .

[حديث الغدير]

لما أكمل النبي ﷺ والمسلمون مناسك حجهم رجعوا إلى بلدانهم ، فخرج النبي ﷺ من مكة راجعاً إلى المدينة فلما بلغ ﷺ الجحفة نزل في غير وقت نزول وأمر المسلمين بالنزول في وقت شديد الحر بقرب غدير يقال له : غدير خم ، فلما نزل الناس واطمأنوا قام النبي ﷺ على مكان مرتفع فحمد الله وأثنى عليه و...و...ثم قال : (أيها الناس ألست أولى بكم من أنفسكم لا أمر لكم معي قالوا بلى يارسول الله ، قال : فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله ، ثم قال ﷺ هل بلغت ؟ قالوا : نعم ، قال اللهم فاشهد و...الخ.

هذا هو حديث الغدير المشهور المتواتر المعلوم وقد كان النبي ﷺ أراد أن يبلغ المسلمين في الحج في علي بهذا البلاغ فضاق النبي ﷺ ذرعاً بهذا البلاغ لما يعلمه من عداوة

قريش وكراهتها لعلي عليه السلام لما صنع فيهم من القتل في حروبهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولما يعلمه من حسد الناس لعلي ، فأجل صلى الله عليه وآله وسلم تبليغ ذلك إلى وقت آخر وفرصة ثانية ، فلما خرج صلى الله عليه وآله وسلم من مكة راجعاً إلى المدينة نزل عليه الوحي يأمره بتبليغ ذلك ، وذلك قوله تعالى : ((ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ...الآية))، فنزل صلى الله عليه وآله وسلم في الجحفة وبلغ ذلك .

[فترة ما بعد فتح مكة]

أعلنت قبائل الجزيرة العربية اسلامها بعد فتح مكة وإسلام قريش ، وبعثت بوفودها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم لخبروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسلام من وراءهم ، وكان الأمر كما قال تعالى في سورة النصر : ((بسم الله الرحمن الرحيم إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً)) .

ويمكننا أن نقول : إن فتح مكة وإسلام قريش كان سبباً في إسلام قبائل الجزيرة العربية ، وأن الداخلين في الإسلام بعد الفتح كانوا أكثر بكثير من الذين كانوا قد دخلوا في الإسلام مما قبل الفتح .

وقد كانت قبائل الجزيرة ترى في قريش القدوة والإسوة فكانت تنظر إلى

قريش فلما دخلت قريش في الإسلام دخلوا فيه، هذا وقد آذنت هذه السورة بانتهاء دور النبوة بدخول الناس في دين الله أفواجاً ، فإذا حصل ذلك ارتفع الوحي وانقطعت النبوة بموت النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

[مكانة قريش]

لقريش مكانة مرموقة عند قبائل العرب بسبب ما اختص الله تعالى قريشاً من النعم ، وقد ذكر الله تعالى قريشاً بتلك النعم في كتابه الكريم فذكر تعالى صنيعه بأصحاب الفيل فقال : ((ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول))

وذكرهم تعالى بنعمة الأمن في أسفارهم إلى اليمن وإلى الشام في حين أن غيرهم خائف ، فقال سبحانه وتعالى :-

((بسم الله الرحمن الرحيم لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف))

وذكرهم تعالى بنعمة الأمن في وطنهم فقال جل شأنه : ((أولم يروا أنا جعلنا حرماً آمناً ويتخطف الناس من حولهم)) وأسكنهم الله تعالى أشرف البقاع على وجه الأرض وأفضلها ((إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً)) ((والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم))

ولعظمة موطن قريش أقسم الله جل وعلى به فقال : ((لآ أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد)) ((....وهذا البلد الأمين))

وقد حكى الله سبحانه وتعالى دعاء إبراهيم عليه السلام لأهل ذلك البلد الحرام فقال جل شأنه : ((رب إني اسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات...))

وحكى تعالى دعاءه للبلد فقال : ((وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمناً ....))

لذلك كانت قريش القبلة التي كانت تتوجه إليها أبصار قبائل العرب ، والأسوة التي ينبغي ان تتبع ، ولمكانة قريش جاء في الرواية عن النبي ﷺ أنه قال : (الناس تبع لقريش صالحهم لصالحهم وطالحهم لطالحهم) أو كما قال.

[مكانة قريش ((قبيلة النبي ﷺ))]

لقريش مكانة كبيرة بين قبائل العرب في الجاهلية والإسلام، فكل قبائل العرب تعترف لقريش بتقدمها في الفضل والشرف على من سواها من القبائل والذي أكسبها ذلك الفضل والشرف المنيف على غيرها عدة أمور:

1- أنهم جيران الله تعالى حيث سكنوا الحرم المحرم وجاوروا بيت الله وسقوا الحجيج وأطعموهم وعمروا المسجد الحرام وقاموا على سدانته وولايته .
2- أن الله تعالى أنزل العذاب على أصحاب الفيل حين أرادوا المسجد الحرام فأرسل عليهم طيراً أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، فإن هذه الحادثة زادت في مكانة قريش ورفعتها وعظمتها عند العرب .
3- ثم أرادت رفعتها وشرفها حين اختار الله منها خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ولهذه المكانة المرموقة فإن القبائل العربية لم تدخل في الإسلام إلا حين رأت قريشاً قد أسلمت ، وكانوا من قبل ينظرون إليها كيف تصنع بالنسبة للإسلام ليهتدوا بها في ذلك فلما أسلمت قريش اسلمت القبائل ، ومن هنا روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: (الناس تبع لقريش صالحهم لصالحهم

وطالحهم لطالحهم).

[بنو جذيمة:]

أرسل النبي صلى الله عليه وآله وسلم خالد بن الوليد في أكثر من ثلاثمائة رجل إلى بني جذيمة يدعوهم إلى الإسلام ، فدعوهم إلى الإسلام ، فأسلموا ، وأمرهم خالد بوضع السلاح فوضعوه ، فجعل خالد يقتلهم ويأسرهم ، ودفع إلى كل رجل من أصحابه أسيراً، ثم أمر خالد بعد ذلك أن يقتل كل رجل أسيره، فقتلوهم ، وأبى بعض أصحابة من قتلهم ، منهم ابن عمر ، فلما قدموا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أخبروه الخبر فاستاء وخزن ، ورفع يديه إلى السماء ، وقال : اللهم إني أبرؤ إليك مما صنع خالد مرتين، ثم بعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم علياً على الفور، ليعطي ديات القتلى، ويعوض ما فات عليهم من أموالهم ، ففعل علي ما أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبقيت عند علي فضلة من المال ، فأعطاهم إياها ، وقال لهم : وهذا المال لكم عما لا تعلمونه ولا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما أخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بذلك استبشر وذهب عنه بعض الحزن .،

والسبب في صنيع خالد هو ما يقال: إنه كان بينه وبينهم دماء في الجاهلية ، فلاحت له الفرصة في هذا البعث فانتقم منهم،

وهذا أول جهاد خالد بن الوليد في الإسلام لأنه لم يسلم إلا قبل فتح مكة .

أما قبل ذلك فكانت حروبه كلها مع قريش ضد النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين،

ثم شهد خالد بن الوليد بعد ذلك غزوة مؤتة غير أنه لم يقاتل ولم يسل سيفه في تلك المعركة ضد الروم ، وإنما قام في تلك الغزوة بعد قتل جعفر وزيد ابن رواحة بقيادة الجيش الإنهزامية

، وحين أخبر النبي ﷺ بالإنهزام قال: {أنا فئتكم } يعني أن ذلك الجيش وإن انسحب من المعركة فلا يعد ذنباً لأنهم انحازوا إلى فئة.

[فضل نبينا محمد ﷺ على الأنبياء والرسل]

الفضل ينقسم إلى قسمين :-

1- كثرة الثواب فمن كان أكثر ثواباً فهو أفضل .
2- الفضل بالكرامات فمن حظي من الله تعالى بأكثر وأعظم الكرامات فهو الأفضل .

فذلك هو ما نعرفه من أسباب الفضل والتفضيل ، وقد سبق نبينا محمد ﷺ الأنبياء والرسل في كل ذلك وإليك البيان:

أما كثرة الثواب فإنه ﷺ أكثر الأنبياء والرسل ثواباً وذلك – وإن كان عمره قصيراً – فإنه أكثرهم أتباعاً ، وله ﷺ من الثواب والحسنات مثل ثوابهم وحسناتهم لأنه ﷺ هو الذي سن لهم السنن وهداهم إلى الإسلام ، وفي الحديث : من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ...الحديث

وأما كثرة الكرامات وعظمها :

1- فلأن معجزته ﷺ الدالة على صدقه معجزة باقية إلى يوم القيامة بخلاف معجزات من سبقه من الأنبياء فإنها لم تبق ، ولا يخفى أن المعجزة الباقية بقاء التكليف أعظم من المعجزة التي ليست كذلك .

2- فضيلة الإسراء من مكة إلى المسجد الأقصى ، وفضيلة المعراج إلى السماء ثم إلى سدرة المنتهى .

3- فضيلة تكليم الله تعالى وتقدس له ﷺ عند سدرة المنتهى نطق بذلك القرآن في سورة النجم .

4- أرسله الله تعالى إلى عموم المكلفين، وكان النبي قبله ﷺ يرسله الله إلى قومه خاصة ، نطق بذلك الكتاب الكريم .

- أحلت له المغانم ولم تحل لنبي قبله ﷺ
- نصر بالرعب على مسيرة شهر .
- جعلت له الأرض مسجداً وطهوراً .
- تبعث أمته يوم القيامة غراً محجلين من آثار الوضوء يعرفون بذلك من بين الأمم .
- أعطاه الله تعالى الشفاعة والوسيلة والمقام المحمود .
- أعطاه الله تعالى أن لا يعذب أمته بمثل عذاب الأمم السابقة .
- جعل الله تعالى أمته خير أمة أخرجت للناس .
- بعثه الله تعالى بالحنفية السمحة لا إصر فيها ولا أغلال.
- جعله الله تعالى خاتم النبيين صلوات الله عليه وآله وعليهم وسلامه ((ولكن رسول الله وخاتم النبيين)).
- (أنا سيد ولد آدم ولا فخر)
- (آدم ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة).
- جعل الله تعالى وصيه خير الأوصياء .

- وجعل ابنته سيدة نساء العالمين .
- وجعل تعالى ولدي فاطمة سيدي شباب أهل الجنة .
- وجعل تعالى الحق والهدى والعلم والحكمة في ذراريهما إلى يوم القيامة لا يفارقون الكتاب ولا يفارقهم ، وجعل تعالى فيهم خلافة النبوة إلى يوم القيامة ،وآخرهم المهدي الذي سيملأ الدنيا عدلاً كما ملأت ظلماً وجوراً.
- أمر الله تعالى بالصلاة عليه في فرائض الصلوات ونوافلها ، ثم كلما ذكر صلوات الله عليه وسلامه وعلى آله ، وقد قال تعالى : ((إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً))، وعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين كيف يقولون فقال صلى الله عليه وآله وسلم : (قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما صليت وباركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد).
- وأمر الله تعالى في الإسلام أن ينادى باسمه صلى الله عليه وآله وسلم خمس مرات في اليوم والليلة في جميع قرى المسلمين وأمصارهم ، وأن يقرن اسمه صلى الله عليه وآله وسلم مع اسم ربه جل وعلى فيقال في الأذان : أشهد ألا إله إلا الله مرتين وأشهد أن محمداً رسول الله مرتين.
- شريعته صلى الله عليه وآله وسلم خاتمة الشرائع لا تنسخ فهي باقية إلى يوم القيامة بخلاف شرائع الأنبياء السابقين فإنها قد نسخت .

[الخلافة]

مازال النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمهد ويرتب منذ مبعثه إلى حين وفاته لخلافة أهل بيته وعلى رأسهم علي بن أبي طالب ، وكتب حديث أهل السنة والجماعة بما فيها الصحاح مشحونة بما ذكرنا.

إلا أنه لم يكتب النجاح لذلك التمهيد والترتيب :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم حريصاً كل الحرص على نجاح ما رتب حتى أنه صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موته حشر القوم الذين يخشاهم وأمرهم بالمسير إلى حيث قتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة ، وحثهم على المسير ، فتثاقلوا ، فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال لهم : أنفذوا بعث أسامة ، لا يتخلف عن بعث أسامة إلا عاص لله ولرسوله ، فتثاقلوا ولم ينفذوه ، وطعنوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأميره أسامة على وجوه الصحابة ، فغضب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقال :لإن طعنتم في تأميري أسامة فقد طعنتم على تأميري أباه من قبله ، وأيم الله إنه لخليق بالإمارة ، ثم أمرهم بتنفيذ البعث ، وحثهم عليه ، وروي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال : (لعن الله من تخلف عن جيش أسامة ، فتثاقلوا ورفضوا الأمر ، وتعللوا بما معناه :

أنهم رفضوا تنفيذ البعث لشفقتهم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرضه ، وخوفهم عليه ، وأنهم يكرهون أن يغيبوا عنه وهو على تلك الحال ، وأنهم إذا غابوا انقطع عنهم خبره صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا يأتيهم من خبره صلى الله عليه وآله وسلم إلا ما تجيئهم به الركبان .

وكان هذا الجيش قد ضم وجوه المهاجرين والأنصار بما فيهم أبو بكر وعمر ، فرجع أكثر ذلك الجيش المدينة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر ، ولبث أسامة مكانه حيث أمره النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يقف ليجتمع الناس إليه .

والذي يظهر للمتأمل أن الرافضين لتنفيذ بعث أسامة وعلى رأسهم أبو بكر وعمر قد أدركوا نوايا نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم وفهموا أنه يريد أن تكون المدينة خالية عند موته ممن يخشى منهم منازعته أهل بيته في الخلافة ، لذلك تمردوا عن تنفيذ أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتعللوا، ورجعوا إلى

المدينة ، وبعد أن أخفق هذا المخطط الذي رسمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم أراد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يثبت خلافة علي بطريقة أخرى فطلب صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتون بقلم ودواة ليكتب لهم كتاباً لا يضلون بعده ، فكان عمر بن الخطاب بالمرصاد حيث قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يهجر – أي يهذي – وقال أيضاً : أكتاباً غير كتاب الله يريد ؟ ، وقال حسبنا كتاب الله ، وكان عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم جماعة فقال بعضهم القول ما قال عمر، وقال البعض الآخر : اعطوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دواة وقلماً وارتفعت أصوات الفريقين عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم إنه لا ينبغي عند نبي تنازع ، وأمر بخروج الحاضرين .

وأعرض عن كتابة الكتاب لأنه صلى الله عليه وآله وسلم عرف أن لا فائدة من كتابته ، لأنه لو كتبه لطعنوا فيه بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كتبه وهو يهذي ويهجر من شدة المرض .

وبذلك تم لعمر وأصحابه إفشال مخططين اثنين أصدرهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم :-

1- تنفيذ بعث أسامة .
2- كتابة وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان ابن عباس يبكي ويقول : الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين كتابة الكتاب .

[مكانة قريش عند موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم]

كان لقريش وزنها وثقلها حين دخلت في الإسلام ، وقد قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : الناس تبع لقريش صالحها لصالحها وطالحها لطالحها ، لذلك صار الناس بعد دخولها في الإسلام تبعاً لها .

وقريش – وإن دخلت في الإسلام – فلا زالت صدورها تغلي على النبي ﷺ وعلى بني هاشم ، ولا سيما علي عليه السلام ، وذلك لما لحقها في حروبها مع النبي ﷺ القتل والأسر والهزائم ، ثم دخوله مكة قهراً وإرغامه لهم على الإسلام ، هذا وبالإضافة إلى ما كان بين قبائل قريش من التنافس في الشرف ، فرأت قريش أن بني هاشم قد سبقوهم في الشرف ، وأخذوا عليهم الفخر بأطرافه حيث بعث فيهم النبي ﷺ.

فبعد موت النبي ﷺ أصبح علي عليه السلام هو المسؤول الأول عن ثأراتها فصعبت عليه أحقادها ووجهت إليه سهام غلها ، لذلك جهدت أن تحول بينه وبين الخلافة ، ومن هنا قال عمر بن الخطاب لابن عباس في كلام دار بينهما : إن قريشاً كرهت أن تجتمع لكم الخلافة والنبوة فتبجحوا على قريش بجحاً .

وكان علي بن أبي طالب رحمة الله عليه يكثر التشكي من قريش، وكان يقول : والله ما زلت مظلوماً منذ قبض الله نبيه عليه وآله السلام.

فلما مات النبي سيطرت قريش على الخلافة ، فكانت خلافة قرشية بحتة ، ليس لبني هاشم فيها أي حظ ولا نصيب ، وليس للأنصار – أهل المدينة – أيضاً فيها حظ ولا نصيب .

فوجدت قريش باستيلائها على الخلافة فرصة للإنتقام من أهل البيت ومن الأنصار ، غير أن تلك الفرصة لم تكن كافية للإنتقام الكامل – القتل والإبادة – لقرب العهد بالنبي ﷺ فعمدت الخلافة القرشية إلى الإنتقام لما هو دون ذلك وهو :

1- أخذ أموال فاطمة من تحت يدها وكانت اموالاً كثيرة وذلك لإضعاف علي مادياً .

2- إبعاد علي وسائر رجالات بني هاشم عن جميع أعمال الخلافة .
3- إبعاد الأنصار أيضاً من جميع أعمال الخلافة .
4- تذوب شخصية علي وطمس فضائله ، وإشاعة الدعايات ضده ، والترويج لشخصيات قرشية .
5- سلطت قريش شعراءها في أول خلافة أبي بكر على هجو الأنصار وذمهم .
6- قتلت قريش سعد بن معاذ سيد الأنصار غيلة في خلافة أبي بكر .

وعلى الجملة فقد كانت الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بمثابة انقلاب سياسي على الدولة التي أسسها النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، حوكم فيه أعظم أنصار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى رأس المحاكمين علي بن أبي طالب .

بل حوكمت ابنت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة الزهراء فأخذ مالها الذي نحلها أبوها صلى الله عليه وآله وسلم وانتهكوا حرمتها .

وماتت كمداً مما لحقها من أبي بكر وعمر ، وأوصت أن لا يصلي عليها أبو بكر وعمر .

وقد أجمع المسلمون على أن رضاها من رضى الله وغضبها من غضب الله .

هذا وقد استطاعت الخلافة القرشية بقوة نفوذها وشوكة سلطانها أن تجعل حب علي وحب أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذنباً لا يغفر ، بل استطاعت أن تجعل ذلك من قواعد الدين وأسسه ، وما زالت تلك العقيدة سارية المفعول حتى اليوم .

وفي المقابل استطاعت أن تخلق للخلفاء الثلاثة ولمعاوية قداسة عالية، وأن

تجعل لهم حصانة عظيمة، وأدخلت ذلك في صلب عقيدة المسلمين ، وأدخلت في صلب العقيدة أن أي خدش في القداسة أو أي اختراق للحصانة يعتبر زندقة وكفراً.

[مخالفة]

الخلفاء الثلاثة دخلوا في الإسلام قديماً وهاجروا مع النبي ﷺ ، وشهدوا مع النبي ﷺ حروبه مع المشركين واليهود إلا أنه لم يكن لهم في تلك الحروب أي دور ، بل المذكور عنهم هو الفرار يوم أحد وفي خيبر ويم حنين إلا أنهم مع سابقتهم في الإسلام تحالفوا مع قريش أخيراً حين دخلت قريش في الإسلام قهراً ، واتفقوا سراً على التعاون على إبعاد علي وبني هاشم عن الخلافة ، وأيضاً إبعاد الأنصار ، والإستيلاء على الخلافة.

ويمكن الإستيلاء على ذلك بما يلي:

إعطاء قيادة الجيوش لولدي أبي سفيان سيد قريش وأشد أعداء الرسول ﷺ ، وهما يزيد بن أبي سفيان ثم معاوية من بعده لمعاوية بن أبي سفيان، ولخالد بن الوليد ولأشراف قريش .

- كثرة تشكي أمي المؤمنين علي بن أبي طالب من قريش ، وفي نهج البلاغة الكثير من ذلك ، مثل قوله عليه السلام : اللهم إني استعديك على قريش فإنهم قطعوا رحمي ...الخ ، وقوله : جزت قريش عني الجوازي...الخ .
- قول عمر ابن الخطاب لابن عباس : كرهت قريش أن تجتمع لكم الخلافة والنبوة .
- وقول عمر أيضاً لابن عباس : إن قومك – أي قريش – استصغروه – أي علي - .

- وقول علي عليه السلام وقد قيل له : إنك على هذا الأمر لحريص فقلت : بل أنتم والله أحرص ، وأبعد ، وأنا أخص وأقرب ، وإنما طلبت حقاً لي ، وأنتم تحولون بيني وبينه ، وتضربون وجهي دونه ...الخ .

وقوله عليه السلام : فدع عنك قريشاً وتركا صنهم في الضلال ، وتجوالهم في الشقاق ، وجماحهم في التيه ، فإنهم قد أجمعوا على حربي، كإجماعهم على حرب رسول الله ﷺ قبلي ، فجزت قريشاً عني الجوازي ، فقد قطعوا رحمي ، وسلبوني سلطان أبن أمي و...الخ.

وبعد فلولا قريش ومكانتهم لم يستطع أبو بكر وعمر أن يتمردوا على أوامر الرسول ﷺ في تنفيذ بعث أسامة ، ولما استطاع عمر بن الخطاب أن يحول بين الرسول ﷺ وبين كتابة الكتاب ، ولما استطاع أبو بكر وعمر أن يستوليا على الخلافة على رغم الأنصار وعلى رغم بني هاشم ،

ولولا مكانة قريش وقوتها لما سكت علي وبنوا هاشم .

[مركز أهل البيت في عهد الخليفة الثالث ثم من بعدهم]

ضعف مركز أهل البيت في المجتمع الإسلامي بعد موت النبي ﷺ وذابت شخصياتهم في المجتمع ذوبان الملح في الماء ، ولم يبق لهم قيمة ، ولا وزن في ذلك المجتمع ، وكل ذلك بفعل سياسة الخلافة القرشية التي ركزت من يومها الأول على تهميش علي وأهل البيت وتصغير شأنهم ، وسحب الثقة عنهم ، ودفن فضائلهم ، وإشاعة الدعايات ضدهم ، و...اخ.

وقد كان الغرض من كل ذلك :

1- أن علياً وأهل البيت هم المنافسون الوحيدون على الخلافة ، مع ما يدلون به من الحجج والبراهين الواضحة على استحقاق الخلافة ، ولا سيما علي بن أبي طالب ، مما أدى بالخلافة القرشية إلى الجد والتشمير من أول يوم في إبعاد ذلك الخطر الذي يهدد خلافتهم .

2- كراهة قبائل قريش لقبيلة بني هاشم ، وهذه الكراهة تأريخية أثارتها المنافسات الطويلة على الشرف بين بيوتات قريش ، وقد عبر عن المنافسة أبو جهل حيث قال ما معناه : ما زلنا نتسابق نحن وبنو هاشم على الشرف والفخر حتى إذا صرنا كفرسي رهان قالوا : منا نبي ، والله لا يكون هذا أبداً ، وقد رأت قريش أن بني هاشم قد سبقوهم بشرف النبوة ، ويئسوا أن يلحقوهم في هذا الشرف ، فحقدوا على بني هاشم ، وحين تغلبت قريش على الخلافة بعد النبي ﷺ أبدت حقدها وسعت غاية السعي في تنفيذ ما في صدورها.

3- ترى قريش أن النبي ﷺ وترها في حروبها ضده ، وأذلها ، وقهرها، وأدخلها في سلطانه قهراً وفعل بها الأفاعيل ، ولم تجد قريش بعد موت النبي ﷺ من تعلق به ثاراتها إلا علياً وفاطمة فر الدرجة الأولى ثم سائر بني هاشم في الدرجة الثانية .

فلما استولت قريش على الخلافة حانت لها الفرصة للإنتقام والتشفي ، وقد ذكرنا فيما تقدم كيف تعاملت قريش في أول خلافتها مع علي وفاطمة – أهل البيت – لذلك أصحبح مركز أهل البيت في عهد الخلافة القرشية مركزاً ضعيفاً ، صبت عليه قريش في خلافتها أحقادها التأريخية ، وقطعت حبال المودة ، ولم تراع في ذلك المجال وصايا الرسول ﷺ ولا وشائج الأرحام ، ولا حقوق الايمان والإسلام ، ولم يكتفوا في خلافتهم بذلك بل تجاوزوا الى تشريع سنن جديدة في خلافتهم تستهدف شخصية علي

بن أبي طالب فكان علي في نظر تلك القوانين والسنن أعظم مجرم ، وأكبر عدو لخلافتهم ، ولم تظهر هذه السنن ظهوراً مكشوفاً على المستوى العام إلا في عهد معاوية بن أبي سفيان حيث أظهر تلك السنة فأمر بلعن علي عليه السلام في خطب الجمعة في جميع مساجد المسلمين ، ثم بعد ذلك قتل يزيد بن معاوية الحسين بن علي بن أبي طالب وسبعة عشر رجلاً من أهل بيته وداسوا جثثهم بحوافر خيولهم وسبوا نساءهم، وقد انعكس ذلك الإنقلاب السياسي على كثير من الأحكام الإسلامية بالتغيير والتبديل والزيادة والنقص ، ويسمي أهل السنة والجماعة ذلك بسنة الخلفاء الراشدين ، وروجوا لذلك برواية اختلقوها :عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي ، وكان خلفاء قريش يرون لأنفسهم حق الصلاحية في التحليل والتحريم والتغيير والتبديل و...الخ ، مما أدى إلى وجود سنة أخرى هي سنة الخلفاء الراشدين ، وأصبحت هذه السنة هي السنة الحيّة ، أما سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد صارت منسية ، وقد حظيت سنة الخلفاء الراشدين برعاية أهل السنة والجماعة وعنايتهم وتعصبوا لها على طول التاريخ إلى اليوم .

[خلافة أبي بكر]

لما تسلم أبو بكر الخلافة في المدينة المنورة تمردت على خلافته قبائل العرب في الجزيرة العربية ، وأبوا الإنقياد لطاعته ، ولم يبق تحت خلافته إلا المدينة ، فشاور نصحاءه في ذلك الأمر ، فعزم بعد المشاورة على حرب المتمردين عن طاعته ، وكانوا قد تمردوا عن تسليم الزكاة إلى أبي بكر ، أما الأذان والصلاة فقد كانوا يؤذنون ويصلون ، فقال أبو بكر : والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لقاتلتهم عليه ، فبعث الجيوش وأمر عليها صناديد قريش فأخضعوا تلك القبائل العربية على الطاعة

بعد أن خاضوا في دمائها بلا رحمة وطحنوها بلا شفقة وسبوا نساءها وذراريها ، وتغنموا أموالها ، ولم تكن تلك العبادات تعرف العفو والرحمة ، فقد كانوا يحاصرون القبيلة حتى تستسلم فإذا استسلمت ضربوا أعناقهم صبراً وسبوا نساءهم وتغنموا أموالهم ،والذي يطالع حروب الردة في كتب التاريخ ، كتاريخ الطبري وغيره يجد في تلك الحروب قساوة وغلظة لا يصنعها إلا الجبابرة ولا ينبغي إطلاقاً أن تنسب إلى دين الرحمة ودين العفو ودين الإحسان ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) .

وحين انتهت حروب الردة واستسلمت قبائل الجزيرة العربية لخلافة قريش ، جيَّش أبو بكر الجيوش ، وجعلها جيشين ، جيش وجهه إلى ممالك فارس ، وجيش وجهه إلى ممالك الروم – بلاد الشام – وأعطى قيادة الشام ليزيد بن أبي سفيان وخالد بن الوليد ، وقيادة العراق لسعد بن أبي وقاص الزهري ، ومات أبو بكر وأوصى بالخلافة لعمر بغير مشورة ، وسار عمر بسيرة أبي بكر ، إلا أن عمر كان حاقداً على خالد بن الوليد فعزله عند توليه ، وأقر سائر ولاة أبي بكر ، وفي عهده انتصرت الجيوش الإسلامية على الفرس وعلى الروم ، ثم طعن عمر وهو يصلي بالناس طعنه أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، فكتب في عهده بالخلافة إلى ستة من الصحابة هم :

علي وعثمان وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وقال في عهده : إذا اجتمع أربعة على اختيار واحد وخالفهم اثنان فاقتلوا الإثنين وإن اجتمع ثلاثة وثلاثة فالحق مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، وإذا أصر الثلاثة على الخلاف فاقتلوهم ، فأجمع القوم برئاسة عبد الرحمن بن عوف على مبايعة عثمان فبايعوه ،فخالف عثمان في سيرته سيرة أبي بكر وعمر ، فجعل الخلافة حكراً على بني أمية وسلطهم على الناس وأطلق أيديهم في عمل ما شاؤوا ، وأحدث أحداثاً كثيرة أدت إلى كراهته ، وأخيراً

اجتمع المسلمون على مطالبته بالتخلي عن الخلافة فأبى ، وأصر على الإستمرار فيها ، فقتلوه .

ووصول كل من الخلفاء الثلاثة إلى الخلافة قد كان وفق ترتيبات مسبقة وخطط مرسومة ، بيتتها قريش ووفرت لها أسباب النجاح، ولم يكن للشورى في خلافة الخلفاء الثلاثة أي تدخل فكانت خلافة الخليفة الأول كما وصفها عمر : إن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ، هكذا روى البخاري ، وكانت بيعة عمر بالوصية من أبي بكر ، وكانت بيعة عثمان بالوصية من عمر ، وكانت خلافة معاوية بالقهر والغلبة .

وقد التزم علي بن أبي طالب خلال عهد الخلفاء الثلاثة السكوت ، وجلس في بيته ، وفي ماله بينبع ، وكانوا يراقبونه أشد المراقبة فلم يصدر منه ما يبعث على قلق الخلافة القرشية ، وكان علي عليه السلام قد امتنع عن بيعة أبي بكر بضعة أشهر ، ثم بايع بعد ذلك وهو كاره ، ولعل امتناعه عليه السلام عن البيعة بضعة أشهر كان من أجل أن يبين للناس بذلك أن بيعة أبي بكر ليست شرعية ، ثم بايع بعد ذلك لأنه لم ير بداً من واحد من أمرين :

إما الدخول فيما دخل فيه الناس ، وإما أن ينصب نفسه للحرب ضد الخلافة القرشية ، وقد ذكر عليه السلام المانع له من حربهم فقال كما في نهج البلاغة : فنظرت فلم أجد إلا أهل بيتي فضننت بهم عن الموت فصبرت وفي العين قذى وفي الحلق شجى أرى تراثي نهباً....الخ

ورأى عليه السلام مع هذا أن قيامه بالحرب في وجه الخلافة القرشية ربما أدى إلى ضياع الإسلام لقرب العهد بالشرك تكون الحرب سبباً للردة ، فآثر عليه السلام

المصلحة العامة للإسلام والمسلمين، وقد سألته فاطمة عن سبب قعوده عن القيام بسيفه في وجه الخلافة فقال لها وكان المؤذن يؤذن بالشهادتين : أتحبين أن يذهب هذا النداء ، قالت: لا ، فقال : هو ذاك – أي الحرب ستكون سبباً لذهاب الشهادتين – هذا معنى الرواية .

وكان علي عليه السلام رأس المعارضين للخلافة القرشية ، وأتباعه في المعارضة بنو هاشم وعمار بن ياسر وأبو ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وآخرون لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين .

وقد يقال : كيف مال أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع خلافة قريش وهي غير شرعية ؟ وأيضاً كيف أعرضوا عن أهل بيت نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم إلا قلة قليلة؟

قلنا : لم تكن صحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على مثل قلب عمار وأبي ذر ، بل كانوا خليطاً من العوام الذين هم أتباع كل ناعق وهذا هو الصنف الغالب فيهم ، وفيهم الكثير من المنافقين ، وفيهم الطلقاء وهم أهل مكة وفيهم ....وفيهم ....وكان ذووا العلم وذووا البصائر فيه قلة قليلة...... .

وقد نُسِبَ الكثير من الصحابة إلى العلم وفي الحقيقة أن أكثر من نسبوهم إلى العلم ليسوا بعلماء ، والدليل على ما ذكرنا ما اشتهر وتواتر عن عمر بن الخطاب الذي يعده علماء أهل السنة من أبرار علماء الصحابة فإنه قال يوم مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ورأى الناس مجتمعين حول بيته صلى الله عليه وآله وسلم يبكون ، ويقولون : مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولن يموت حتى يقطع أيدي وأرجل رجال من المنافقين ، وجعل يضرب الناس بدرته ويفرقهم ، فما زال كذلك يضرب كل من يقول : مات النبي صلى الله عليه وآله وسلم حتى

جاء أبو بكر فقال : إن النبي ﷺ قد مات وتلى قوله تعالى : ((وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ...الآية)) ، فهمد عمر وقال : أحقاً هي من القرآن فقال أبو بكر : نعم .

فإن هذه الرواية المشهورة المتواترة تدل على واحد من أمرين :

1- إما أن عمر جاهل لا ينبغي مع تلك الرواية أن ينسب إلى العلم.
2- وإما أن تكون تلك المقالة صدرت من عمر دهاءاً وخداعاً ومكراً، فيكون أراد أن يحير الناس ويدهشهم عن التفكير في خليفة للنبي ﷺ ، وفي التفكير فيمن يكون الخليفة ، فإن ذلك ربما يكدر عليهم نجاح مخطط عمر وأصحابه وترتيبهم الذي كانوا قد رسموه .

إذا عرفت ذلك فالظاهر أن العلماء وذوي البصائر في الصحابة قليلون ، فحين استولت قريش على الخلافة مال الناس معهم ، ففوجئ العلماء وذووا البصائر بذلك وتحيروا ولم يستطيعوا الإنكار والتغيير لقلتهم وذلتهم، فاضطروا إلى السكوت.

وقد كانت الخلافة القرشية على كامل الإستعداد بالضربة القاضية على كل

من يعارضها أو يذكر علياً وبني هاشم ، وأصبح ذكر علي وذكر فضله واستحقاقه للخلافة أو أنه أولى بها من أبي بكر أو أنه أفضل جريمة لا تغتفر، وزاد التشدد في ذلك قليلاً قليلاً حتى أصدر معاوية قراره بسنة لعن علي والبراءة منه ويضرب عنق من يأبى ذلك .

كانت قريش أشد أعداء نبي الإسلام فلقي النبي ﷺ منهم من الأذى في مكة قبل الهجرة ما لا يقدر قدره ، وقد حكى الله تعالى في القرآن من ذلك كثيراً ، وأمره الله تعالى أن يقابل أذاهم بالصبر فقال تعالى : ((فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل)) وآذوا أصحابه وعذبوهم بألوان من العذاب ، وقد مات من ذلك العذاب والد عمار : ياسر وسمية رحمة الله عليهم ، وبعد الهجرة حاربوه في بدر وأحد والخندق وكانت هذه أعظم الحروب وأشدها التي واجهها النبي ﷺ والمسلمون.

ثم غزاهم النبي ﷺ بعد ذلك في عقر دارهم فاستولى على مكة وأرغمهم على الإسلام فأسلموا خوفاً من السيف.

هذا هو دور قريش في حياة النبي ﷺ ، فلما مات الرسول ﷺ استولوا على الخلافة فأبدوا حقدهم وعداوتهم على الذين قاتلوهم مع النبي ﷺ في بدر وغيرها ، لذلك لقي علي وأهل البيت والأنصار مالقوا من عداوة قريش وأذاها .

وكان من أول قرارات الخلافة القرشية بعد النبي ﷺ ابتزاز أموال فاطمة بنت رسول الله ﷺ التي أنحلها إياها أبوها ﷺ في حياته ، وما زالت الخلافة في عهودها الثلاثة تستهدف أهل البيت ولا سيما علي بن أبي طالب ، فلما استولى علي على الخلافة بعد عثمان سلت قريش وجه خلافته سيوفها ، وقاتلته يوم الجمل بقيادة عائشة وطلحة والزبير ، وهزمت قريش وأنصارها من أهل البصرة في هذه المعركة ، ثم قاتلته في صفين بقيادة معاوية بن أبي سفيان ، وانتهت معارك صفين بالتحكيم .

وقصة التحكيم أن جيوش معاوية ضعفت عن الوقوف في وجه جيوش علي ، وكادت أن تنهزم ، وأيقن معاوية بالهزيمة ، وبدأ يخطط للإنسحاب والهزيمة، وكان عمرو بن العاص

من دهاة العرب البارعين في ابتكار الحيل فقال لمعاوية : عندي رأي غير الهزيمة إن قبله أصحاب علي اختلفوا وإن ردوه اختلفوا ، هو أن نرفع المصاحف على رؤس الرماح وندعوهم إلى ال المصاحف على رؤس الرماح وندعوهم إلى المحاكمة إلى القرآن الكريم ، ففرح معاوية بهذا الرأي ، فلما أصبح الصباح رأى أصحاب علي المصاحف على رؤوس الرماح وإذا هم ينادون بالتحاكم إليها ، فوقفت جيوش علي وتحيرت ، فقال لهم علي عليه السلام : هذه حيلة من ابن العاص حين عفتهم السيوف وأخذتم منهم بالمخنق ، إنهم ليسوا من أهل القرآن ، ولا يريدون حكم القرآن ، وجرت مناقشات ومجادلات ومحاورات بين علي عليه السلام وأصحابه ، فأصر القرآء من أصحاب علي عليه السلام على قبول التحاكم إلى القرآن الكريم ، وكانوا كثرة كاثرة تنيف على عشرين ألفاً ، وأحدقوا بعلي عليه السلام وحملوه على القبول بالتحكيم ، واضطروه إليه ، وهو كاره له .

وإنما قبل علي التحكيم وهو كاره له لأنه عليه السلام لم يكن أمامه في تلك الحال غير خيارين :

1- القبول بالتحكيم .
2- الرفض للتحكيم الذي يترتب عليه حتماً في تلك الحال نشوب القتال بين المصرين على قبول التحكيم وبين الرافضين له .

وقد كان المصرون على قبول التحكيم قد سلوا سيوفهم وأحدقوا بعلي عليه السلام ، وقالوا لابد من أن توقف الحرب وتقبل التحكيم وإلا قاتلناك ، فرأى علي عليه السلام أن قبول التحكيم أهون الشرين فقبل به وأمر بتوقف الحرب ، فلما تم ذلك صاح القرآء الذين اضطروا علياً إلى قبول التحكيم قائلين : لا حكم إلا لله كفرت ياعلي وكفرنا وإنا نتوب إلى الله .....الى آخر القصة، وكان هذا أول ظهور الخوارج .....

وأخيراً قاتل علي عليه السلام الخوارج كما أمره الرسول ﷺ في الحديث المشهور:

أن النبي ﷺ أمره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، فالمارقون هم هؤلاء القرآء الذين ذكرناهم ، والناكثون هم طلحة والزبير ومن ضامهم وقد قاتلهم علي عليه السلام في البصرة واشتهرت تلك الوقعة بوقعة الجمل ، والقاسطون هم معاوية وأصحابه وقد قاتلهم علي عليه السلام في صفين .

ثم قتلت الخوارج علي عليه السلام غيلة بسيف أشقاها عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله.

ثم بايع أصحاب علي عليه السلام الحسن بن علي بالخلافة بعد أبيه وأراد أن يقاتل بهم معاوية فلم يفوا له بالبيعة ، وخانوه ، وكادوا أن يسلموه لعدوه معاوية ، بل طعنوه في فخذه وهو متوجه إلى معاوية ونهبوا متاعه ، ورأى عليه السلام أن النتيجة الحتمية للدخول في حرب مع معاوية هي القضاء عليه وعلى أهل بيته وعلى أتباعه المخلصين وسحقهم تماماً فلم ير عليه السلام الدخول في معركة خاسرة

، فقرر بعد المشاورة أن يصالح معاوية فصالحه على شروط، وغادر عاصمة خلافته – الكوفة – ورجع بأهل بيته إلى المدينة ، فلم يف له معاوية بالشروط ، وسقاه السم على يد زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس ، وانتقل إلى رحمة الله شهيداً .

واستولى معاوية بعد الصلح على جميع البلدان وقرر لعن علي بن أبي طالب في خطب الجمعات وسماه السنة ، وأمر بالتبري من علي بن أبي طالب .....

وفي عهد يزيد قتلت جيوش يزيد الحسين بن علي وسبعة عشر رجلاً من أهل بيته في كربلاء ، واستباحت جيوش يزيد المدينة المنورة عدة أيام بعد أن سحقت الجيوش أبناء المهاجرين والأنصار ، ورأى يزيد أنه بذلك قد أخذ ثأره في قتلى بدر فتمثل قائلاً :

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً   ثم قالوا يايزيد لا شلل

لست من عتبة إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعل

[لمحة من حياة معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف]

أبو سفيان (والد معاوية)كان سيد قريش ورئيسها وكان القائد لها في حربه للنبي ﷺ وللإسلام ، ولم يزل حرباً للنبي ﷺ وللإسلام مجداً في حربه غاية الجد حتى غلبته قوة الإسلام وقهره سلطان الإسلام فدخل في الإسلام كرهاً حين لم يجد لنفسه مهرباً إلا الإسلام أو السيف .

ومن أسباب عداوة أبي سفيان للإسلام وحربه للنبي ﷺ ما كان بين بني أمية وبني هاشم من المنافسة على السيادة والمطاولة في الشرف والمسابقة في ميادين الذكر والعزة فلما بعث الله عز وجل محمداً ﷺ نبياً قال قائلهم : أطعم بنوا هاشم وأطعمنا ونحروا ونحرنا وفعلوا وفعلنا حتى إذا صرنا كفرس رهان قالوا منا نبي والله لا يكون هذا أبداً .

لهذا اغتاضت بنوا أمية حين أكرم الله تعالى بني هاشم بالنبوة وعلموا أنهم قد فاتوهم بالشرف ، وأنه لا سبيل إلى اللحاق بهم ، فأجمعوا على الحرب إلى أن يطسموا النبوة وينسفوها نسفاً .

وقد ذكر الله تعالى بني أمية في القرآن وسماهم الشجرة الملعونة في القرآن في قوله تعالى : ((والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً))

بل ذكر الله تعالى أم جميل اخت أبي سفيان وسماها ((حمالة الحطب)) وكانت شديدة العداوة والأذى لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة.

وكان معاوية هو ابن سيد قريش يعيش مع أبيه ويشاهد ما يجري في الساحة ، وأم معاوية هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف وهي التي بقرت يوم أحد بطن حمزة واستخرجت كبده وأكلتها فلم تقدر أن تبتلعها فلفظتها .

وكان قد قتل علي بن أبي طالب حنظلة بن أبي سفيان أخ معاوية وقتل خاله وشارك في قتل جده عتبة وجده شيبة ، فدخل أبو سفيان وابنه معاوية في الإسلام وبنوا أمية وسائر قبائل قريش الذين أسلموا يوم الفتح رغماً وهم مغلوبون ومقهورون ، في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يستطيعوا في عهده أن ينالوا من آمالهم السيئة أي منال فلما توفى الله نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم وتولى أبو بكرالخلافة صارت قرشية تتحكم فيها رجالات قريش بما فيهم أبو سفيان وابنه يزيد وابنه معاوية .

لذلك تمكنت قريش من حرمان علي وسائر بني هاشم من تولي أي منصب في الخلافة فهمشوهم تماماً ، وهكذا فعلت الخلافة القرشية بالأنصار فلم يعطوهم أي ولا ية أو قيادة بل سلطوا شعراءهم على هجوهم وذمهم .

ولم تكتف الخلافة القرشية بإبعاد علي وبني هاشم من استلام أي دور من أعمال الخلافة بل عملت على تذويب شخصية علي بن أبي طالب وطمس فضائله وتصعيد شأنه حتى صار حبه جريمة وصار ذكر فضله ذنباً لا يغفر .

ولم يزل ذلك إلى اليوم فمذهب أهل السنة والجماعة على طول التاريخ إلى اليوم هو أن حب علي وأهل البيت ذنب لا تقبل معه شهادة ولا رواية .

وحين استولى معاوية بن أبي سفيان على منصة الخلافة حانت له الفرصة التامة ليشفي غيظه التاريخي ، فسن للمسلمين لعن علي بن أبي طالب ، وألزم أتباعه بالبراءة من دينه ، وسن في شيعة علي سنناً لم تزل حية إلى اليوم .

وفي الحقيقة والواقع أن معاوية أسس مذهب أهل السنة والجماعة على عداوة علي بن أبي طالب وأهل البيت وأشياعهم وكل ما يتصل بهم ، وعلى تقديس أبي بكر وعمر وعثمان ومن في صفهم من الصحابة .

وتلخيص المقال أن أسس مذاهب أهل السنة والجماعة ناتجة عن عداء جاهلي بين بيوتات قريش ولا سيما فيما بين بني أمية وبني هاشم ولإضافة إلى ما حدث من العداء بعد مبعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم ما نتج عن هذا العداء الأخير من كثرة قتلى قريش بما فيهم الكثير من عظمائها وساداتها ، وقد كان معاوية وسائر قبائل قريش يرون أن ثأرهم بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند علي بن أبي طالب في كل قتلاهم ، وذلك أن الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصروه من بني هاشم هم علي وحمزة وعبيدة بن الحارث وجعفر لاغير فقتل حمزة وعبيدة وجعفر في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أما بقية بني هاشم فلم يهاجروا ولم ينصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم ضد قريش ، فلما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم تجد قريش وبنو أمية من تعلق ثأرها به بعد

موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم سوى علي بن أبي طالب لذلك حصل ما حصل من العداء لعلي بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا سيما في عهد خلافة معاوية ثم في خلافة من تعقبه من بني أمية ، وقد قال يزيد بن معاوية في طلبه للثأر :

لست من عتبة إن لم أنتقم   من بني أحمد ما كان فعل

فقتل في كربلاء الحسين بن علي وسبعة عشر رجلاً من بني هاشم.

يتبين بما تقدم أن الخلاف اليوم بين أهل السنة والجماعة وبين الشيعة هو امتداد لذلك الخلاف التأريخي بين قريش بقيادة أبي سفيان وبين بني هاشم بقيادة النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

[من تأريخ الصحابة]

الصحابة بشكل عام كغيرهم من الناس ، تتصارع في صدورهم طبائع الخير والشر ، وطبائع الرذيلة والفضيلة ، وتميل بهم الأهواء أحياناً ، ولم ترفعهم الصحبة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى درجة الملائكة المعصومين ، ولم يبلغوا بها منازل الأنبياء والمرسلين ، بل ما زالت طبائعهم البشرية عن صدورهم لا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولا بعد موته ....

وقد ابتدع أهل السنة والجماعة مذهباً في الصحابة غلوا فيه غلواً كبيراً فحكموا لمن كان صحابياً :

1- أنه لا يضره مع الصحبة ذنب
2- أنه لا يجوز ذم عصاة الصحابة المرتكبين للكبائر .
3- لا يجوز ذكر ماجرى بين الصحابة من العدوات والحروب و...الخ.

4- من ثبتت صحبته ولو برؤية النبي ﷺ مرة واحدة فقد جاوز القنطرة أي أنه عدل ثقة لا يجوز لأحد توجيه النقد إليه ولا التجريح.

5- توجيه النقد إلى الخلفاء أو توجيه التساؤلات إليهم زندقة ، وكل ذلك يراد به معاوية وأبو بكر وعمر وعثمان ومن كان في صفهم من الصحابة دون علي بن أبي طالب وأتباعه وأشياعه من الصحابة فليس لهم في تلك الحصانة حظ ولا نصيب عند أهل السنة والجماعة ، وحينئذ يعرف أن تلك الحصانة والقداسة ليست من الإسلام في شيء وإنما هي مذاهب سياسية تبناها سلاطين أهل السنة والجماعة وأدخلوها في شرائع الإسلام زوراً ، ودليل بطلان مذهبهم ذاك أمور :-

1- أن القرآن الكريم مدح الصحابة في مواضع من القرآن وذمهم في مواضع منه ، فأخذ أهل السنة بآيات المدح وأعرضوا عن آيات الذم .

2- أن الرسول ﷺ أثنى على الصحابة في أحاديث وذم في أحاديث .

3- أن هذه الحصانة والقداسة لم تكن موجودة في زمن النبي ﷺ ولا في عهد الصحابة فقد نزل القرآن بذم ولعن قذفة عائشة ، وهم صحابة ، وجلدهم النبي ﷺ جد القذف، وهم صحابة وقطع النبي ﷺ يد السارق الصحابة ورجم زانيهم وحكم ﷺ بالنار على الصحابي الذي سرق شيئاً يسيراً من المغانم ، ثم قتل مع النبي ﷺ فقال النبي ﷺ إنه في النار، ففتشوا أمتاعه فوجدوا بين متاعه شيئاً كان قد غله من المغنم .

[المهاجرون والأنصار]

المهاجرون في الجملة أفضل من الأنصار لأمور :

1- لأن اسم المهاجرين شمل الذين هاجروا من مكة إلى المدينة ومن جملتهم النبي ﷺ وعلي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث ولا ريب أن جماعة منهم النبي ﷺ تكون أفضل جماعة .
2- أن الله تعالى يقدم في القرآن ذكر المهاجرين على ذكر الأنصار .
3- أن مهاجري قريش أقرب نسباً إلى النبي ﷺ فهم قبيلته وعشيرته .

[الأنصار :]

وللأنصار فضائل غير تلك فضلهم فيها على فضل المهاجرين سوى النبي ﷺ وأهل بيته هي :

1- فضيلة الجهاد مع النبي ﷺ فقد كان لهم في ذلك الدور الأعظم ، أما المهاجرون فلولا علي وحمزة لم يذكروا في هذا الباب .
2- فضيلة الإنفاق في سبيل الله وعلى الفقراء من الصحابة ((ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون)).
3- فضيلة إيواء المهاجرين ونصرتهم وقد نوه الله بذلك في القرآن .

[المنافقون]

ظهر النفاق أولاً في المدينة المنورة بعد الهجرة حين عم الإسلام المدينة ، وصار له كيان ودولة فدخل الكثير في الإسلام خوفا على نفوسهم لا رغبة في الإسلام ، ولا سيما بعد النصر المبين في غزوة بدر ، وكانوا ذوي عدد كبير ، بدليل ما روي أن عبدالله بن أبي في يوم أحد رجع بثلثي الجيش المتوجهين إلى أحد لقتال قريش .

ثم ظهر منافقون جدد من أهل مكة وهم الذين امتنعوا عن المهاجرة إلى النبي ﷺ في المدينة ، وقد تحدث الله تعالى عنهم في سورة النساء .

وأخيراً دخلت قريش في الإسلام يوم فتح مكة كرهاً فاضطر الكثير منهم إلى النفاق ، وهكذا اضطر الكثير من غير قريش للنفاق فأظهروا الإسلام خوفاً من قوة الإسلام وأسروا الكفر ، وقد كان النبي ﷺ يتألف أعيان أولئك وذوي الرأي فيهم ليسلم شرهم فكان يعطيهم سهماً من الزكاة ويختصم بعطايا من الغنائم كما فعل يوم حنين حين أعطا أبا سفيان مائة من الإبل وابنه يزيد مائة وابنه معاوية مائة وهكذا أعطا غيرهم من أعيان قريش وأعيان غيرهم من القبائل .

[أنواع المنافقين]

والمنافقون بشكل عام : أنواع

النوع الأول : من ظهر نفاقه وكيده للإسلام والمسلمين وهم عبدالله بن أبي وأتباعه وقد كانوا ذوي عدد كثير ، وكانوا منتشرين في المدينة بين المسلمين مخالطين لهم ، يحضرون مجالس النبي ﷺ ويستمعون لحديثه ، ويشاركونه في الرأي والمشورة ، وربما خرج الكثير منهم مع النبي ﷺ في الغزو.

وكانوا على طول عهد النبي ﷺ في سعي متواصل لكيد النبي ﷺ وكيد الإسلام والمسلمين ، وقد نزل فيهم قرآن كثير من ذلك سورة المنافقون ((إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون))....إلى آخر السورة ، وفيهم نزل قوله تعالى في أول سورة البقرة : ((ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين ...إلى آخر الآيات الثلاث عشرة من سورة البقرة ،

ونزل فيهم آيات في سورة الأحزاب أولها قوله تعالى : ((ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا)) إلى آخر الآيات ، والقرآن مملوء من ذكر المنافقين وذكر أعمالهم الذميمة .

النوع الثاني : هم منافقون من أهل مكة ، قد كانوا آمنوا بالنبي ﷺ في مكة قبل الهجرة ، فلما أمر الله تعالى نبيه ﷺ والمسلمين بالهجرة إلى المدينة هاجروا وبقي كثير في مكة لم يستجيبوا لأمر الله ورسوله ﷺ بالهجرة ، ونزلت في هذا النوع آيات في سورة النساء ونفاق هؤلآء يفاق ظاهر إلا أن فسادهم أقل من فساد منافقي المدينة بسبب بعدهم عن عاصمة الإسلام .

النوع الثالث : منافقون لم يظهر نفاقهم ولم يظهر شيء من أعمالهم التي يستدل بها على نفاقهم وفيهم نزل قوله تعالى : ((أم حسب الذين في قلوبهم مرض أن لن يخرج الله أضغانهم ولو نشاء لأريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول ...))، وهذا النوع من المنافقين لم يعرفوا لعامة المسلمين ، ولعل النبي ﷺ هو الذي اختص بمعرفتهم بزكاء فطرته دون غيره من المسلمين .

النوع الرابع : لم يعرفهم النبي ﷺ ولا غيره من المسلمين بل الله تعالى وحده هو الذي اختص بمعرفتهم ، وهذا النوع من المنافقين كانوا على درجات عالية من الذكاء والمكر بحيث أن النبي ﷺ هو ازكى البشر عقلاً لم يتمكن بفطنته من التعرف عليهم وفي هذا النوع يقول الله تعالى : ((ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم ....الآية))

[نسبة المنافقين]

الذي يظهر أن نسبة المنافقين بين الصحابة في العصر النبوي كانت كبيرة بدليل :

- أن عبد الله بن أبي رجع يوم أحد بثلث الجيش ولم يذهب مع النبي ﷺ إلى أحد إلا ثلث ذلك الجيش
- أجمعت أهل السنة والشيعة على صحة حديث (أنه لا يحب علياً إلا مؤمن ولايبغضه إلا منافق)، وذلك يعرف ونكشف لمن عرف سير
الصحابة بعد موت النبي ﷺ كثرة المنافقين بين ظهراني الصحابة.
- ذكر الله تعالى المنافقين في القرآن بكثرة مما يدل على أن لهم وجوداً كبيراً بين المسلمين يشكل خطراً كبيراً على الإسلام والمسلمين حتى قال الله تعالى لنبيه ﷺ : ((هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون))

[عموم رحمة النبي ﷺ]

كان النبي ﷺ مع استحكام معرفته بأكثر المنافقين لا يكشف سترهم ولا يعاملهم بما في قلوبهم من النفاق ، وكان القرآن ينزل في ذم المنافقين عموماً ، وكان ﷺ لا يجبه أحداً منهم بما يكره ولا يجفوه ، وكان يصدر من كثير من المنافقين فلتات ، تدل على نفاقهم فيغضي ، ويعرض ، وهكذا كان خلقه ﷺ مع جميع أصحابه المنافقين وغير المنافقين وتماماً كما قال تعالى عن خلق نبيه ﷺ : ((فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر))

لذلك لم يؤثر عن النبي ﷺ أنه عير أحداً بذنبه ، أو أعلمه بذنبه إلا أن يكون حداً من حدود الله تعالى.

[سيرة النبي ﷺ في السفر]

- كان النبي ﷺ يقصر الصلاة الرباعية إلى اثنتين.
- وكان يجمع بين الظهر والعصر ، وبين المغرب والعشاء ، فكان إذا دخل وقت الصلاة وهو في حال السير أخر الصلاة ، ثم يجمع الظهر والعصر ركعتين ركعتين في وقت العصر ، وأخر المغرب إلى وقت العشاء ، ثم يصليهما جميعاً بأذان واحد وإقامتين .
- وكان إذا سافر في شهر رمضان أفطر ، وربما صام .
- وكان ﷺ يصلي نوافل الليل على راحلته أينما توجهت به .
- وكان الحادي يحدي لتنشيط الإبل بحضرته ﷺ .
- وكان ﷺ حسن المفاكهة والمحادثة ، ولا سيما في السفر .
- وكان يتجنب النزول في المواضع المسماة بأسماء مكروهة ، ويتوخى النزول في المواضع التي أسماؤها حسنة .
- وكان ﷺ يعلم أصحابه في السفر شرائع دينهم بالقول والفعل .
- وكان الصحابة يتبركون بما تساقط من ماء وضوء النبي ﷺ في السفر ، أما في الحضر فكان ﷺ يتوضأ في بيته.
- وكان له ﷺ نوق يركبهن في سفره ، منهن العضباء ، وكانت سابقة .
- وكان ﷺ إذا رجع من السفر يتلقاه صبيان بني عبد المطلب فيركبهم معه .
- وكان ﷺ لا يطرق أهله ليلاً إذا رجع من سفر.

[من سيرته صلى الله عليه وآله وسلم]

- كان صلى الله عليه وآله وسلم يعود المرضى ويدعو لهم ويعلمهم الدعاء ، ويرشدهم إلى التداوي
- وكان صلى الله عليه وآله وسلم يشهد جنائز المسلمين ويشيعهم ويصلي عليهم ويقوم على قبورهم .
- وكان صلى الله عليه وآله وسلم يتعهد قبور موتى المسلمين بالزيارة.

[منازل الصحابة]

للصحابة منازل متفاوتة وهي :

1- منهم المنافقون وقد قدمنا أصناف المنافقين .

2- ومنهم مخلصون حقاً لا يشوب إخلاصهم ما يكدره وهم قلة قليلة ، وقد عينت الآثار والأخبار أشخاص على رأسهم علي بن أبي طالب، منهم عمار وأبو ذر ، وسلمان الفارسي والمقداد ، وهؤلآء ممن عاش بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ومن هذا الصنف أشخاص قتلوا في عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

3- ومنهم من إخلاصه راجح إلا انه لم يصل إلى منازل الصنف الذين ذكرناهم ، ويتمثل هذا الصنف في الكثير من الأنصار ، ولضعف الإخلاص صدرت منهم هفوات في حق علي وأهل البيت وتناسوا العهد الذي أخذه النبي صلى الله عليه وآله وسلم عليهم ، وهم وإن صدر ما صدر منهم من الهفوات في حق علي وأهل البيت بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد عادوا لنصر علي عليه السلام في خلافته وقاتلوا معه في حروبه ، وإنما نزلنا هذا الصنف هذه المنزلة نظراً لما ظهر لنا من اعمالهم ، لأن الأعمال الظاهرة تدل على ما وراءها من الأعمال الباطنة.

4- ومنهم صنف منزلته في الإخلاص دون من ذكرنا في الرقم الثالث ويتمثل هذا الصنف في الأكثرية من قريش المهاجرين منهم والطليق، ودليل ذلك ما ظهر من أعمالهم التي خالفوا فيها الرسول ﷺ ولم يبالوا بعصيانه ، فإن في ذلك دليلاً على ضعف الإخلاص واستيلآء الهوى حتى صار الإخلاص مرجوحاً والهوى راجحاً، وهذه الأصناف الأربعة هي التي عرفت الإسلام وصحبت النبي ﷺ في سفره وحضره وكثرت مجالستها له ﷺ وكثر سماعها منه ﷺ .

5- وهناك صنف خامس وهم الذين أسلموا ورأوا النبي ﷺ ولم يكن لهم من الصحبة والإستماع والمجالسة مثل ما كان للأصناف الأربعة ، ونعني بهؤلآء العوام الذين يقال عنهم : إنهم أتباع كل ناعق ، يميلون مع كل ريح.

[مآسي]

لما مات معاوية بن أبي سفيان عهد بالخلافة لأبنه يزيد وكان معاوية قد مهد الإمور لخلافة يزيد ولم يعد يخاف عليه وعلى خلافته من أحد إلا من الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير وأهل المدينة فأوصاه بالفتك بهم .

وكان يزيد فاسقاً خليعاً عاكفاً على الخمر واللهو واللعب معروفاً بذلك بين المسلمين ، لذلك استاء الصالحون من خلافته وحاولوا التهرب من طاعته والإنضواء تحت إمارته فخرج أبناء المهاجرين والأنصار الذين هم أهل المدينة من تحت طاعته ، فأرسل إليهم جيشاً من أهل الشام بقيادة مسلم بن عقبة المري فقاتلهم وقاتلوه وانصر جيش يزيد على أهل المدينة فقتل أكثرهم ودخل الجيش الشامي المدينة واستباحها ثلاثة أيام بأوامر عليا وكانوا يقتلون من وجدوا من الرجال وينتهبون ما وجدوا من المال ويفعلوا ما شاءوا من الفساد والظلم

والتعذيب والقتل العام للرجال والنساء والأطفال ونكحوا النساء وافتضوا العذارى حتى قيل إنه ولد نتيجة لذلك أكثر من ألف مولود لغير أب فلما انتهت الثلاثة الأيام أمر الأمير مسلم بن عقبة جيشه بالكف ونادى بالأمان العام لأهل المدينة فأمن الناس وخرجوا من مخابئهم ودعاهم الأمير إلى بيعة أمير المؤمنين يزيد ، وكان مسلم بن عقبة يبايعهم على أنهم عبيد لأمير المؤمنين يزيد فمن أبى ضربت عنقه من غير مراجعة ، فضربت هنالك الكثير من الأعناق ، وكان مسلم يختم على أعناق المبايعين بختم العبودية ليزيد ، وقد حكى المؤرخون في هذه الحادثة ما تقشعر من فضاعته الجلود فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد رأى يزيد بن معاوية أنه بهذه الوقعة قد أخذ بالثأر من أهل المدينة الذين نصروا النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر ضد قريش حيث هزمت قريش وقتل منها سبعون وأسر سبعون فقال يزيد منتشياً بأخذه بالثأر من أبيات له مشهورة :

ليت أشياخي ببدر شهدوا   جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا واستهلوا فرحاً   ثم قالوا يا يزيد لا شلل

[مأساة كربلاء]

تهرب الحسين بن علي بن أبي طالب من بيعة يزيد وطاعته ، فخرج من المدينة إلى مكة ، ثم خرج من مكة متوجهاً إلى العراق ، ومعه سبعة عشر رجلاً من أهل بيته وجماعة قليلة من الصالحين ، وكان أهل الكوفة قد وعدوه النصر ، وأعطوا المواثيق المؤكدة ، وفي أثناء توجهه إلى العراق أرسل أمامه إلى الكوفة مسلم بن عقيل بن أبي طالب لتمهيد الأمور ، وكان يزيد أحس بخطورة الأمر في العراق فعزل الوالي عليها لضعفه وأرسل عبيد الله بن زياد خلفاً له ، فدخل الكوفة وحزمها وشدد على أهلها ولا سيما مشائخ القبائل ووعد وأوعد

فخافه الناس وحذروه ، فلما وصل مسلم بن عقبة الكوفة وجد الأمور شديدة فاختفى ، ولما علم عبيد الله بن زياد بوصول مسلم بن عقيل الكوفة واختفائه سارع في طلبه والبحث عنه ، وسرعان ما وجده ، فأخذ مسلم بن عقيل أسيراً بعدما دافع بسيفه وقاتل وقد قتل في مقاتلته رجلاً ، وأمر عبيد الله بن زياد بقتل مسلم فضربت عنقه على رأس قصرالأمارة ، وألقى جسده ورأسه إلى الأرض وضربت أيضاً في ذلك المكان عنق هاني بن عروة لمساعدته لمسلم بن عقيل رحمة الله عليهما ورضوانه .

وقد كان مسلم بن عقيل أراد أن يرسل رسولاً لينذر الحسين من القدوم إلى الكوفة ، ويخبره بتغير الوضع في الكوفة ، وأن الناس غير الناس، وأن الناس الذين كانوا قد بايعوه قد انضموا إلى طاعة الوالي الجديد عبيد الله بن زياد واجتمعوا على موالاته ونصرته ، فلم يتمكن مسلم من إبلاغ الحسين بذلك ، فواصل الحسين وأصحابه المسير إلى الكوفة ، وحين علم عبيد الله بن زياد بقدوم الحسين إلى الكوفة جمع لمواجهته جيشاً من أهل الكوفة يقدر بأربعة آلاف مقاتل ، وأمر عليهم عمر بن سعد بن أبي وقاص ، فخرج هذا الجيش لمواجهة الحسين ، وكان الحسين في سبعين رجلاً منهم سبعة عشر رجلاً من بني هاشم والباقون من غيرهم ، فالتقى الفريقان بكربلاء، وضرب الحسين الخيام على نسائه وأطفاله ، وحالت جيوش الكوفة بين الحسين وبين ماء الفرات واشتد بهم العطش ،وحين رأى الحسين ذلك الجيش علم أنه لا طاقة لهم بمواجهته ، وأن في مواجهتهم هلاكه وهلاك أصحابه جميعاً ، فأراد الحسين أن يحول دون وقوع مأساة عظيمة ، فجمع أصحابه وقال لهم : القوم إنما يريدونني وحدي ، فاذهبوا في جنح هذا الليل فقد أذنت لكم ، فأبوا من ذلك أشد الإباء ، ثم نادى الحسين عليه السلام جيش الكوفة وعرض عليهم أموراً فيها السلامة من وقوع المواجهة :

1- أن يتركوه ليعود من حيث جاء .
2- أن يتركوه ليذهب في الأرض حيث لا يضر بسلطانهم .

3-	أن يدعوه ليذهب إلى يزيد .

فلم يقبل ذلك الجيش شيئاً من تلك العروض ، بل أصروا على إعطائه واحداً من أمرين :

1-	إما النزول على حكم عبيد الله بن زياد .
2-	وإما الحرب .

فأبى الحسين عليه السلام النزول على حكم عبيد الله بن زياد لعلمه بأن حكم عبيد الله بن زياد فيه وفي أهل بيته وأصحابه سيكون القتل المحتم مع ما يصحبه من الشتم والإهانة و...الخ، فاختار عليه السلام الحرب الذي معناه الموت المصحوب بالعزة والكرامة ، فمال ذلك الجيش بآلافه على الحسين وأصحابه الذين أوهى قواهم العطش.

[تأريخ المذهب الزيدي]

كان المسلمون في عصر النبي ﷺ منهج واحد وسنة واحدة إمامهم النبي ﷺ ولم يكن هناك خلاف بين المسلمين ، وكان من يخالف منهج النبي ﷺ وطريقته يعد منافقاً أو مرتداً هكذا كان المسلمون في ذلك العصر الزاهر.

ثم مات النبي ﷺ وتمت البيعة بالخلافة لأبي بكر وخطيت بدعم قبائل قريش ((الطلقاء)) وعارضها علي وسائر بني هاشم وقلة من المهاجرين والأنصار ، أرغمتهم الظروف السياسية على القبول بالوضع الراهن والبيعة لأبي بكر إلا علياً فإنه لم يقبل الخلافة ولم يبايع حتى مضت فترة وماتت فاطمة فاضطر إلى القبول والبيعة ، وكان علي عليه السلام يرى أنه الأولى والأحق بالخلافة من أبي بكر وقد روى ذلك البخاري في صحيحه في قصة مبايعة علي لأبي بكر ، وقد كان لعلي عليه السلام أتباع كثيرون في هذا

الرأي إلا أن الظروف السياسية الحتهم ولم تسمح لهم بالجهر بذلك .

وقد كان علي عليه السلام هو زعيم هذا الرأي ورأس هذا المذهب.

وقد كان الخلفاء – أبو بكر ثم عمر ثم عثمان – على خوف عظيم من علي بن أبي طالب لعدة أسباب :-

1- لأنه أقرب الصحابة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأسهم رحماً به.
2- لأن له سوابق في الإسلام لم يشاركه فيها مشارك .
3- لأن له شخصية ومرموقة وقوية .
4- لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رشحه للخلافة في يوم الغدير وفي حديث المنزلة .
5- لأن له فضائل لا تحصى على لسان النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

لذلك أيقن الخلفاء وأنصارهم أنها لا تستقر خلافتهم ولا تتم إلا بالتخلص من معارضهم القوي علي بن أبي طالب.

وكان تخلصهم منه بالإغتيال ، قد تكون نتائجه سلبيه تفضح الخلافة والخلفاء، ولولا ذلك لتخلصوا منه بالإغتيال ، وتماماً كما تخلصوا من معارضهم سعد بن عبادة سيد الأنصار فإنهم قتلوه غيلة ، وقالوا قتله الجن لأنه بال قائماً قال الشاعر :

وما ذنب سعد أنه بال قائماً ولكم سعداً لم يبايع أبا بكر

فسلك الخلفاء للتخلص من معارضهم علي بن أبي طالب طريقاً أخرى غير الإغتيال هي :

1- إبعاد علي وبني هاشم وإقصائهم عن تولي أي منصب في الخلافة وعن القيام بأي دور أو عمل أو قيادة أو مشورة .



2- سلب أموال علي وأخذها كي لا يتمكن من الدعوة إلى نفسه فأخذوا فدكاً وقد كانت فدك تغل أموالاً طائلة .

3- إذكاء الرعاية والترويج ضد علي والتنقيص له وذمه والتحذير منه وتشويه شخصيته ، لقنوا بذلك الصغير والكبير والأحرار والعبيد والرجال والنساء ، والقوا هذا الترويج إلى الداخلين في الإسلام والوافدين ، وإلى جيوش المسلمين ، وسعوا في ذلك غاية السعي وجدوا غاية الجد .

4- المحاولة الجادة لمحو فضائل علي وأهل البيت وطمسها .

5- الترويج لشخصيات جديدة واصطناع الفضائل لها فنحتوا الفضائل لأبي بكر وعمر وعثمان وخالد بن الوليد وغيرهم ونسبوها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

6- المضايقات الشديدة لمؤيدي علي وأنصاره وأشياعه بإقصائهم وإيذائهم وحرمانهم من العطاء واحتقارهم وإهانتهم ، ويظهر ذلك ظهوراً واضحاً في عصر الخليفة الثالث.

فسلكت الكثرة الكاثرة من المسلمين مسلك الخلفاء الثلاثة، وأخذت بسنتهم وآرائهم ، وأطلق على هؤلآء أخيراً أهل السنة والجماعة ، وأتباع السلف الصالح ، والسلفية .

وسلك الكثير مسلك علي بن أبي طالب وأخذوا بسنته وسيرته وذهبوا في مذهبه ، وسمي هؤلاء(شيعة علي) أو(الشيعة).

ثم افترقت الشيعة في عهد الإمام زيد بن علي إلى فرقتين ، فرقة بايعته وناصرته وجاهدت معه فسموا (زيدية) ، وفرقة رفضت الجهاد معه وتعللت بأن الأمام هو جعفر بن محمد وسموا هؤلاء (إمامية) ، ثم ...الخ .

وأهل السنة يحتجون على صحة مذهبهم وفساد مذاهب غيرهم بأنهم هم وحدهم الذين اتبعوا السلف الصالح من الصحابة .

ونقول : إنهم صدقوا في ذلك فإنهم اتبعوا منهج الخلفاء والكثرة الكاثرة من الصحابة.

ونقول الزيدية : إنهم اتبعوا سلفهم الصالح الذي هو علي بن أبي طالب ، وقد صدقوا في ذلك .

ومازال العداء بين الطرفين منذ يومهم الأول وإلى اليوم ، فالذي نلاحظه اليوم من العداء والتجريح و...الخ بين الطرفين هو نفسه ذلك العداء في

العهد الأول.

وأهل السنة يحتجون على صحة مذهبهم بأنهم اتباع السلف الصالح، وأنهم على ماكان عليه السلف الصالح، وأن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم قال : عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي .

وشيعة علي يحتجون على صحة مذهبهم بما روي في علي وأهل البيت في صحاح أهل السنة وغيرها.

والشيعة في عداهم لأهل السنة والجماعة فريقان :

فريق منهم تشدد في العداء حتى كفر أو فسق الخلفاء وأنصارهم ، والفريق الثاني هم الزيدية لم يبلغ تحاملهم وعداهم إلى درجة الحكم بالكفر أو الفسق للخلفاء وأتباعهم ،بل حكموا على الثلاثة حيث تقدموا علياً في الخلافة بالعصيان وفتحوا مع ذلك باب التأويل وصار الأمر عندهم جديراً بالتوقف هذا هو رأي الغالبية العظمى من الزيدية ...، ...،

وذلك لأن للصحابة ولا سيما الخلفاء الثلاثة فضل السبق إلى الإسلام والهجرة وصحبة النبي ﷺ لذلك كانوا أهلاً للتوقف عن إصدار الأحكام عليهم ، وحكم الزيدية هذا في حق الخلفاء وأنصارهم هو حكم معتدل بين حكم أهل السنة وبين حكم بعض الشيعة غير الزيدية حيث قال أهل السنة لا يجوز ذكر معاصي الصحابة ومساوئهم على الإطلاق وإن فعلوا ما فعلوا من الكبائر، وحيث جزمت طوائف من الشيعة بالكفر أو الفسق في حق الخلفاء ومتابعيهم .

لذلك كان مذهب الزيدية أعدل المذاهب وأوسطها ، لأن أهل السنة غلوا في الصحابة حتى أعطوهم صفة لا تنبغي إلا للعلي العظيم ، وصفته تعالى هي: ((لا يسأل عما يفعل وهم يسألون))

فما كان ينبغي لأهل السنة والجماعة أن يحرموا ذكر معاصي الصحابة وتوجيه النقد إليهم وتوجيه التساؤلات على ما اشتبه علينا من أعمالهم و...الخ.

ثم أعطوهم حصانة حصينة لا تضرهم معها معصية ولا يلحقهم ذنب وسيئاتهم مغفورة وكل ذلك لأنهم صحابة .

ولغلوهم في الخلفاء وسائر سلفهم الصالح من الصحابة غلوا في إصدار الأحكام ضد خصومهم

فقالوا : إن حب علي بن أبي طالب ذنب عظيم لا تقبل معه شهادة ولا رواية وسموه شيعياً ، والشيعي عندهم في منزلة الكافر وهكذا قالوا فيمن يقول : إن علياً أفضل من أبي بكر أو إنه أولى بالخلافة بعد النبي ﷺ .

وأيضاً قالوا فيمن يوجه النقد على أبي بكر في أخذه للخلافة أو أخذه لفدك

وبمثل غلوهم في أبي بكر غلوا في معاوية بن أبي سفيان .

الذي أراه وأجزم به أن غلو أهل السنة في تلك الأحكام إنما جاءت به خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ثم خلافة معاوية وكان القصد من ورآئه هو القضاء على المنافس لهم في الخلافة – علي بن أبي طالب – ومحو ذكره وطمس فضائله والقضاء على مذهبه وعلى أتباعه تماماً ، لأن وجود علي ووجود محبيه وأتباعه وأنصاره وذكر فضائله يهدد خلافة أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية ثم خلافة سلاطين بني أمية ، فدعت الظروف السياسية للخلافة والخلفاء بتشريع تلك الأحكام والغالية وإدخالها في دين الناس ومعتقداتهم والترويج لها حتى أدخلوها في دين الإسلام ، ودين الإسلام منها بريء.

[وفاة النبي الكريم ﷺ]

مرض النبي ﷺ أياماً ثم مات ﷺ بعد أن بلغ رسالات ربه بتمامها وكمالها.

وقد كان الصحابة من المهاجرين والأنصار يرتبون للخلافة فالأنصار يريدون الخلافة لهم ، والمهاجرون من قريش يريدونها لهم وأنهم أولى بها ، وكان الرسول ﷺ في مرض موته يرتب لخلافة علي وأهل بيته ، فحشر ﷺ كبار المهاجرين وغيرهم في جيش تحت إمرة أسامة بن زيد وأمره النبي ﷺ أن يسير بذلك الجيش إلى حيث قتل أبوه ، وأراد النبي ﷺ بهذا البعث أن يبعد أعيان المهاجرين عن المدينة ويشغلهم عن طمعهم في الخلافة ، فتثاقلوا ولم يسمعوا لحث النبي ﷺ بل طعنوا في تأمير أسامة فبلغ النبي ﷺ طعنهم ورأى تثاقلهم فخطب وهو مريض يحمله رجلان ، ومن كلامه ﷺ في ذلك المقام :

(ولئن طعنتم في تأميري أسامة فلقد طعنتم في تأميري إياه من قبله وأيم الله إنه لخليق بالإمارة ثم حث على بعث أسامة وقال: لا يتخلف عن بعث أسامة إلا عاص لله ولرسوله ﷺ .

فلم يحركهم غضب النبي ﷺ ولا حثه ولا وعيده ، بل لزموا المدينة ، فلما تحقق النبي ﷺ عصيانهم ومخالفتهم لأمره طلب قرطاساً ودواة ليكتب ما يريد العهد به إليهم فحال عمر بن الخطاب دون ذلك ، ومما قاله عمر في ذلك المقام حسب رواية البخاري ومسلم قوله : أكتاباً غير كتاب الله يريد ، حسبنا كتاب الله .

وقوله : إن رسول الله يهجر –أي يهذي - ، فتنازع الحاضرون فقائل يقول : اعطوا النبي ﷺ الدواة والقرطاس ، وقائل يقول : القول ما قال عمر ، فارتفعت الأصوات بذلك ، فطردهم النبي ﷺ وقال: لا ينبغي عند نبي تنازع ...الخ .

فإن في ذلك دليلاً على ما ذكرنا من ترتيب المهاجرين لأخذ الخلافة ، ودلالة أيضاً على ما كان يريده ﷺ من الترتيب لها ، أما الأنصار فقد اجتمعوا يوم مات النبي ﷺ وأرادوا أن يبايعوا بالخلافة لسعد بن عبادة .

- وكان ابن عباس كم في رواية الصحيحين يبكي حتى بل الثرى ويقول : الرزية كل الرزية ماحال بين رسول الله ﷺ وبين كتابة الكتاب .
- ماذكرنا حقائق تاريخية صحيحة مروية في صحاح أهل السنة .
- وكل ذلك يدل على أن الغالبية العظمى من الصحابة تراجعوا عن بعض تعاليم دينهم وتركوا وصية نبيهم ﷺ وراء ظهورهم ولم يلتفتوا إليها ولم يبالوا بمخالفتها ،وقد كان النبي ﷺ أوصاهم بالثقلين كما في صحيح مسلم وهما كتاب الله وعترته ﷺ

أهل بيته ، وفي الحديث – مسلم - : (أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي)، هكذا في صحيح مسلم .

الفهرس

[مولده]... - 1 -

[نشأته]... - 1 -

[**العصمة والتعبد]** .... - 2 -

[معاصي الأنبياء عليهم السلام] .... - 5 -

[أخلاق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومراحل حياته] .... - 6 -

[زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم] .... - 19 -

[أفضل زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم].. - 21 -

[رأينا في عائشة].. - 23 -

[وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لزوجاته] .... - 23 -

[أم سلمة] .... - 24 -

[بقية زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم].. - 24 -

[سيرته صلى الله عليه وآله وسلم مع زوجاته] .... - 25 -

[غزوة بدر الكبرى] .... - 114 -

[نزول الملائكة يوم بدر] .... - 117 -

[هل قاتلت الملائكة يوم بدر؟]...................... - 117 -

[شبهة]....................................... - 120 -

[أسرا بدر] .... - 121 -

[الهجرة إلى المدينة كما جاءت في القرآن]............ - 47 -

[فضيلة لعلي عليه السلام] .... - 49 -

[ألفترة من حين مبعثه إلى حين هجرته ﷺ] .... - 51 -

[حالة العرب قبل البعثة و حين البعثة] .... - 27 -

[عموم الرسالة و طبيعتها] .... - 28 -

[موقف قريش من محمد ﷺ و رسالته]................... - 29 -

[وقائع هامة حدثت قبل الهجرة] .... - 40 -

[1-الإسراء:]..................................... - 40 -

[2-المعراج إلى السموات :]......................... - 42 -

[كلام الله تعالى] .... - 46 -

[روايات أهل السنة حول الموضوع]...................... - 46 -

[طبيعة فترة ما قبل الهجرة] .... - 30 -

[الهجرة إلى الحبشة] .... - 26 -

[مكاتبات النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملوك] .... - 60 -
[كتّاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم]................................ - 62 -
[علم الكتابة] .... - 63 -
[إسلام أبي طالب] .... - 31 -
[التدريج في الدعوة]...................................... - 34 -
[موقف قريش العام من نبي الإسلام و دعوته] .... - 37 -
[و من صور الصد عن الإسلام الذي كانت تفعله قريش]................ - 39 -
[الهجرة الأولى الحبشة]...................................... - 26 -
[غزوة الخندق و تسمى غزوة الأحزاب] .... - 52 -
[من الهجرة]...................................... - 50 -
[آيات بينات حصلت في الهجرة]................................ - 50 -
حال المؤمنين الصادقين في غزوة الأحزاب........................ - 58 -
[غزوة بني قريظة]...................................... - 67 -
[السيرة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة و السلام]................ - 64 -
[غزوة بني النضير] .... - 69 -
[نزول القرآن على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم]................................ - 72 -
[كيفية تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم للوحي]................................ - 72 -
[سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه]................................ - 73 -

[معاملته ﷺ مع المنافقين:]............................... - 74 -
[معاملته ﷺ مع عدوه]............................... - 75 -
[معاملته ﷺ مع أهله و قرابته :]............................... - 76 -
[الحديبية و بيعة الرضوان] .... - 76 -
[استنكار عمر لهذا الصلح] .... - 79 -
[بيعة الرضوان] .... - 80 -
[ابتلاء واختبار]............................... - 84 -
[فتح خيبر]............................... - 85 -
[فتح خيبر]............................... - 86 -
[صلح خيبر] .... - 86 -
[قدوم جعفر بن أبي طالب و المهاجرين معه من الحبشة]............ - 87 -
[غزوة أحد]............................... - 87 -
[رؤيا رسول الله ﷺ]............................... - 88 -
[السرايا] .... - 95 -
[حديث الإفك]............................... - 101 -
[عمرة القضاء في ذي القعدة سنة 7هـ] .... - 104 -
[صحابة رسول الله ﷺ] .... - 106 -
[غزوة مؤتة]............................... - 108 -

[فتح مكة في شهر رمضان الكريم سنة ثمان هـ] .... - 110 -
[فتح مكة] .... - 112 -
[غزوة حنين].. - 123 -
[فوائد :] .... - 124 -
[حجة الوداع] .... - 125 -
[البعث بالبراءة] .... - 125 -
[حديث الغدير]...................................... - 127 -
[فترة ما بعد فتح مكة].............................. - 128 -
[مكانة قريش] .... - 128 -
[مكانة قريش ((قبيلة النبي صلى الله عليه وآله وسلم))].............................. - 130 -
[بنو جذيمة:]...................................... - 131 -
[فضل نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على الأنبياء والرسل] .... - 132 -
[الخلافة]... - 134 -
[مكانة قريش عند موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم] .... - 136 -
[محالفة] .... - 139 -
[مركز أهل البيت في عهد الخليفة الثالث ثم من بعدهم] .... - 140 -
[خلافة أبي بكر] .... - 142 -
[دور قريش في الإسلام] .... - 146 -

[لمحة من حياة معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف]- 150 -
[من تأريخ الصحابة] .... - 153 -
[المهاجرون والأنصار] .... - 154 -
[المنافقون] .... - 155 -
[أنواع المنافقين] .... - 156 -
[نسبة المنافقين].. - 157 -
[عموم رحمة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم].. - 158 -
[سيرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم في السفر].. - 159 -
[من سيرته صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم] .... - 160 -
[منازل الصحابة] .... - 160 -
[مآسي] .... - 161 -
[مأساة كربلاء] .... - 162 -
[تأريخ المذهب الزيدي].. - 164 -
[وفاة النبي الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَسَلَّم] .... - 169 -